مجلة البيان – العدد 63 ، ذو القعدة 1413هـ / مايو 1993م

كلمة صغيرة

ما زالت الكتابات التي تتناول أحــوال الـمـسـلـمين دون المستوى المطلوب ، فمنذ أن كتب الأمير شكيب أرسلان تعليقاته الشهيرة على كـتــاب "حــاضر العالم الإسلامي" ، لم يظهر كتاب يماثله في وصف حالة المسلمين وواقعهم وما هم عـلـيـهــم من القوة والضعف والجهل والعلم وما هي ثرواتهم ومؤسساتهم وواقع الدعوة بين صفوفهم.

سنقدم في هذا العدد من "البيان" محاولة متواضعة لسد هذه الثغرة ، وسنتابعها في الأعداد الـقـادمـة إن شاء الله وسنتطرق للحديث عن أحوال المسلمين في المناطق "المنكوبة" ، والتي تسميها الصحافة (مناطق ساخنة) تخفيفاً من هول المأساة.

وهذا الموضــــوع واسع ودقيق يتطلب جهوداً جمة ، وإمكانات قوية ، ولذا فربما نعجز عن تحقيق ما نرنو إليه ولكننا سنسدد ونقارب والله من وراء القصد .

المحرر

الافتتاحية

هذه هي القضية

هل أصبح المسلم منبوذ هذا العصر ؛ يـتـحـاشـاه الناس كما يتحاشون من الجمل الأجرب؟

إن الحملة الإعلامية الخبيثة التي تُشَن عليه تريد ترسيخ هذه الصورة في أذهان الناس. وتستغل أخطاءً هنا وهناك كي تكتمل الصورة ويكـتـمل العرس الإعلامي الذي يقوده الغرب بعد أن استفرد بالمسلمين على الساحة العالمية.

إن من طبيعة الغربي في تفكيره وسلوكه أن لا يرضـى بالتنازلات القليلة ، فكلما تنازلت له عن شيء يطلب المزيد ، أما المسلمون فليسوا على اسـتـعـــداد لترد دينهم وعقيدتهم إرضاءً للغرب. وأما الذين يلهثون وراءه، فهل يستطيعون بعد الانسلاخ عن دينهم تغيير جلودهم؟.

لا شك ستبقى نظرة الغرب إليهم نظرة فوقية ولو قبَّلوا أقدامه.

ليست (قضية الأصولية) هي الغـضية المستهدفة عند الغرب ، وإنما المستهدف هو الإسلام عقيدة وسلوكاً وحضارة ، وقد عـبـرت عن هذه النوايا صحيفة يهودية عندما طالبت بإلغاء البرامج الدينية من الإذاعة والتلفاز ، بل وإلغاء العبار ات الدينية ! .

تقول الصحيفة : "الأمر العجيب في القاهرة أن حوانيت الملابس تُسمع فيها آيات القرآن، وتذيع إذاعة القرآن الكريم هذه الأيام (19) ساعة يومياً ، ويدل استطلاع الرأي أن 96% من المستمعين المصريين يفضلون هذه الإذاعة على غيرها"، وتعلق الصحيفة على إلغاء برامج إذاعة القرآن والاقتصار على تلاوة الآيات :"إن خلفية إلـغــاء البرامج الدينية من الإذاعة الإسلامية هو ادعاء الدوائر العلمانية ، إن مصر تستخدم عبارات دينية في جميع مجالات الحياة ، مما يشكل تربة خصبة للإسلام الأصولي.." (1) .
لقد عبر عن هذا الاتجاه أيضاً (أنس الشابّي) ، التونسي العلماني الذي كتب معاتباً لدولة مجاورة لأنها تستقدم المشايخ من الأزهر لإلقاء المحاضرات والدروس الدينية ، يقول : "لا يمكن للأزهر إلا أن يكون السند الخفي والظاهر للتطرف والانغلاق والتحجر، لأنــه كــان ولازال دائمــاً وأبداً معارضاً للتطور ، وخصماً لحرية الفكر ، ومنذ بدايات هذا القرن مثَّل الأزهر مؤسسة الانغلاق ، يدل على ذلك :
1- فصْله للشيخ علي عبد الرازق ، وإخراجه من زمرة العلماء عام 1925 بسبب إصداره كتاب "الإسلام وأصول الحكم" .
2- تشنيعه على طه حسين إثر نشره "في الشعر الجاهلي" ، واتهامه بالكفر .
3- مصادرته كتاب "مقدمة في فقه اللغة العربية" للدكتور لويس عوض ، ومصادرته "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ.
4- الضغط لسحب كتب فرج فودة من السوق .
ذلك هو حال الأزهر .."(2) .
إن تقسيم الإســـلام إلى إســـلام أصولـي وآخر متنور ما هو إلا مؤامرة تستهدف شق صف المسلمين على أمل الاستفر اد بكل قسم منهم على حدة لتسهل عمليه القضاء على المسلمين بالتدرج. ولعل أخطر ما يردده الغرب المعادي وتلاميذه ومريدوه هو إسقاط عبارات التشنيع على المسلمين ؛ تلك الصفات التي تصفهم (بالأصولية) التي تعني عند الغرب ما لا تعنيه في اللغة العربية ، واستخدام هذا المصطلح ينسلك في إطار التضليل والتشويه.
هذه هي القضية واضحة لا التوا ء فيها، إنها صدور منطوية على كُره الإسلام وأهله، و كم يبدو العلمانيون متناقضين حين يتظاهرون بالعلم و الثقافة ، ويتكلمون عن سماحة الإسـلام ويسره ، وأنه ليس دين تشدد ، وهم يحاربون الإسلام سراً وعلانية ، وأما القوميون الذين بدؤوا بالتقرب من الإسلاميين عندما أحسوا بقوة تيار العودة إلى الدين - عادوا ونكـصـــوا رؤوسهم وساروا في (الزفة)، التي تهاجم المسلمين ، وأظهروا الشماتة بما يقع لهم ، ونقول لهؤلاء وأولئك : إن الله ناصر دينه ، وجاعل لهذا الأمر فرجاً ، والعاقبة للمتقين ، وهناد حقيقة ناصعة يجب أن يكونـــوا على بينة منها وهي : أنه لا يفلح عرب بلا دين ؛ تلك خصوصية العرب ، وهذا قدرهـــم . وإذا ابتعدوا عن الإسلام

فسيصيرون مِزقاً وأحاديث ، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول لقريش في أول الدعوة : »قولوا كلمة تَدِين لكم بها العرب والعجم« ويقول - تعالـى - مذكّراً بما أنعم عليهم :" وَاذْكُرُوا إذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ)) [الأنفال: 26] .

ويقول الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمــي : "وإنكم - معشر العرب - كنتم على الحال الذي قد علمتم من جهالتكم ، والقلة والذلـــة والضلالة ، وأن الله - عز وجل - نعشكم بالإسلام وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- خير الأنام ، حتى بلغ بكم ما ترون.." (3) .

وها نحن تُتخطف من أرضنا ، وليس لنا وزن يُذكــر ، ولا يكيل بمكيالنا أحد ، ولم أرَ في واقعنا المعاصر أمة يجري عليها التقسيم والذل كما نراه في واقع العرب والمسلمين ، وبماذا نفسر هـــــذا الـغـبــن والكنود والجحود من الغرب للشعوب الإسلامية التي تقطن المنطقة العربية، إلا أن العرب هم مادة الإسلام، وقطب الرحى، والغرب يعلم هذا ولكن القوميين والعلمانيين لا يعلمون بل يتجاهلون.

نحن لا نخاطب -إزاء هذا الواقع الأليم - فئة من الناس لا يكرمهم الله - سبحانه وتعالى - بأن يكونوا أنصــاراً لهذا الدين ، ويكون الدين عزاً لهم ، ذلك لأنهم لا يستحقون هذا التكريم:((ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ ولَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وهُم مُّعْرِضُونَ)) [الأنفال:23].

ولكننا نقول لمن بقيت فيهم بقية من أنفة وشمم : كونوا مع المسلمين في مقاومة هذا الإذلال وهذا القهر الذي نعانيه جميعاً. أليس في هذه البقية عقلاء يقولون الحقيقة ويصدعون بها، ويتساءلون عن المصلحة من هذه الدماء التي تُسال ، وهذه الأوطان التي تخرَّب ، ويعلمون أخيراً أن العز والتمكين لا يُنالان إلا بهذا الدين ، وأن هذه الحملة الشرسة على الإسلام لتدل على كماله وقوته ونفوذه في قلوب الناس ، ولابد للمسلم أن يصبر ويصابر ، ويأخذ بسياسة النفس الطويل ، ولا تستخفه الجعجعة الإعلامية ، ولا إرجافها وتهويلاتها .

ورحم الله عمر - رضي الله عنه - حين قال: "يعـجـبـنـي الرجل إذا سِيم خطة ضيم أن يقول : لا ، بملء فِيه" .

رئيس التحرير

الهوامش :

1- هآرتس 21/3/1993 .
2- جريدة الصحافة 20/12/1992 .
3- سير أعلام النبلاء ،3/43 .

فتوى العلامة الشيخ
عبد الله بن عبد الرحمن آل جبرين

تقديم : هيثم الحداد

وردنا من أحد القراء السؤال التالي :
ما تقولون في بعض الشباب من المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات الغرب ، وأحياناً في مجتمعات شرقية غير إسلامية ، أو في مجتمعات إسلامية ، ويفتون لأنفسهم بأخذ الأموال أو المتاع ويتحايلون على ذلك بشتى الوسائل، وربما يحتجون لذلك بأن تلك البلاد علمانية أو غير إسلامية. فهل يجوز ذلك؟! وما الدليل؟ وما هو الأسلوب الذي نبين به - لهؤلاء - الحكم الشرعي الصحيح والتصرف اللائق بالمسلم. أفتونا مأجورين وجزاكم الله خيراً .
قبل أن نعرض هذا السؤال على أحد العلماء للإجابة عليه لا بد من توضيح الأمور التالية:
إن أسباب هذه الظاهرة عند هؤلاء الشباب هي الأمور التالية :
1- عدم أخذهم للقدر الكافي من العلم الشرعي الذي يساعدهم في معرفة هذه المسائل وأحكامها.
2- عزوف هؤلاء الشباب عن أهل العلم الذين اشتُهروا به ، وأخذهم العلم عن الذين لم يبلغوا درجة كافية من العلم تخولهم الإفتاء في مثل هذه الأمور الشائكة والخطيرة ، فأخذوا العلم من غير أهله.
3- ومع ما تقدم ، فلم يقوموا ببحث هذه المسائل بحثاً علمياً من كتب أهل العلم المعتبرة ، حتى يبرئ ذمتهم أمام الله - عز وجل - حينما يقفون بين يديه ، وذلك ببذلهم غاية جهدهم في طلب الحق ، والوصول إليه ، وحتى لا يتعلق برقابهم شيء من حقوق العباد - حتى وإن كانوا كفاراً - فلا يستطيعون التخلص منها إلا بردها إلى أهلها إن أمكن.
4- وقبل ذلك كله ، حماسهم واندفاعهم ، ولعل ذلك ناشئ من غيرتهم على هذا الدين ، وبغضهم لأهل الكفر والنفاق .
والمفترض على هؤلاء الشباب أن يكونوا من طلاب الحق، غير المتبعين للهوى،أو المتعصبين لأحد ، ولذلك سنبحث هذه المسألة بصورة موجزة سريعة ، وسنعرض أصلها الذي يُبنى عليه حكمها ، فما كان فيه من حق أُخذ وعمل به ، وما كان غير ذلك ترك وطرح ، فنقول :
يقسم الفقهاء الدُّور إلى قسمين رئيسيين، دار الإسلام ، ودار الكفر.
أما دار الإسلام فهي الدار التي تكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة مستعلية.
وأما دار الكفر فهي الدار التي تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة مستعلية.
وإذا استقرأنا أحوال دار الكفر ، وأحوال الكفار ، تبين لنا أن دار الكفر لا تنفك عن أحوال ثلاث : الأولى : أن يُعقد لأهلها عقد موادعة أو معاهدة ،

والمعاهدة هي مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة ، بعوض أو بغير عوض ولو كان فيهم من يقر على دينه ومن لا يقر (1) والأصل في مشروعية الـمـعـاهــدة الكتاب والسنة والإجماع ، أما من الكتاب فـقـــول الله - عز وجـــــل -:((وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)) [الأنفال:61] ، قال ابن كثير : "وقول من قال بأن هذه الآية منسوخة بآية السيف فيه نظر أيضاً ؛ إن آية "براءة" فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فأما إذا كان العدو كثيفاً ، فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية ، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم"(2).

وأما من السنة فصلح الحديبية ، ووجه الاستدلال ظاهر. وأجمع المسلمون على جواز عقد الهدنة في الجملة. وأما شروط المعاهدة فهي أربعة :

1 - أن يكون العاقد لها الإمام أو نائبه.

2- أن تكون بمصلحة.

3- أن تخلو عن شرط فاسد.

4- أن تكون مدتها معينة ، مؤقتة .

وهذه الشـروط مـتفــق عليها في الجملة (3). ويترتب على عقد الموادعة أو المهادنة دخول المعاهدين في جملة المـعـصـومـين ، فلا تحل دماؤهم ولا أموالهم إلا بحقها ، وهذا مجمع عليه من الفقهاء ، ولم يخالــف فـيــه مخالف ، لتضافر الآيات والأحاديث على وجوب الوفاء بالعهود ، والمواثيق ، وأصل عقد الهدنة يتضمن أمن كل طرف من المتعاقدين ، على نفسه وماله وغير ذلك ، فالاعتداء على نـفـس الـمعاهد أو ماله يعتبر نقضاً صريحاً للعقد والعهد الذي قال الله فيه : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ))[المائدة:1] ، وقال : ((وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً))[الإسراء:34] .

الثانية : أن تكون محايدة ، لا تنحاز لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار ، وأصل هذه الصورة ، قوله - عز وجل - : ((وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وجَدتُّمُوهُمْ ولا تَتَّخِــذُوا مِنْهُمْ ولِياً ولا نَصِيراً (89) إلاَّ الَذِينَ يَصِلُونَ إلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم مِّيـثَـــاقٌ أَوْ جَـاءُوكُـمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإنِ اعْتَزَلُـــوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وأَلْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً))[النساء:89-90]، ودون الدخــول في تفصيل أسباب نزول هذه الآيات ، فإن هؤلاء المهادنين يُلحَقون بالمعاهدين ، ولذلك فـــإن أغلب الفقهاء لم يجعلوا هذه الدار قسماً مستقلاً ؛ لأنه جرى بينهم وبين المسلمين عهد ، يجب الوفاء بما تضمنه ذلك العهد.

الثالثة: أن تكون حالة الحرب قائمة بين المسلمين وبين تلك البلاد ، فهي ما تعرف بدار الحرب وأهلها هم الحربيــون ، وهؤلاء هم من غير المعصومين ، فتباح أموالهم ودماؤهم وغيرها في الجملة ، ولكن لابد من الوقوف على بعض التفصيلات :
إن من دخل من هؤلاء الحربيين إلى ديارنا بأمان من غير استيطان ، لغرض من الأغراض - كالرسل ، والتجار وغيرهم - فإنه يصبح مستأمناً (4) ومقتضى تسميته مستأمناً ، أن يأمن على نفسه وماله وعرضه ، ومقتضى أيضاً أن يؤمن على أموال غيره ودمائهم فلا يخون ولا يغدر ، وإلا انتقض عهده وأمانه ، وهو أيضاً مقتضى العقد الذي يبرم بين الدولة المسلمة وغيرها بخصوص ما يتعلق بهؤلاء.
وألحق بعض الفقهاء بالمستأمنين ، من يدخل من المسلمين إلى دار الحرب بأمان ، كالرسل والتجار وذوي الحاجات وغـيـرهـــم (5) وهذا الإلحاق ظاهر ، فمقتضى إذن هذه الدولة الحربية لنا بالدخول بأمان ، يعني عـهـــداً من الطرفين بأمان الآخر ، وخلافه خيانة ، والخيانة محرمة ، فلا يجوز لنا أن نسرق من أموالهم ، ولا نحتال عليهم ، وقد نص على ذلك غير واحد من الفقهاء.
أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال أهل الكتاب : ((لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ))[آل عمران:75] ، قال نبي الله : كذب أعداء الله ، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدميَّ هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر(6).
الثانية : بما أن العصمة قد انتفت عن هؤلاء الحربيين فإنه يجوز سرقة أموالهم ، لكن ما حكم المال المسروق؟ هل يلحق بالغنيمة (7) أو لا؟ ؛ قولان :
فالمالكية - وكذا ابن حزم - يلحقونه بالغنائم وههنا أمور: فلا يتولى قسمة الغنيمة إلا الإمام أو نائبه وليس ذلك لآحاد الرعية ، وليس لأحد أن يأخذ منها شيئاً قبل القسمة إلا ما كان في طعام وعلف لدابته ، وما احتاج إليه فيجوز أن يأخذ منه جائزة قبل القسمة. ثم إن الغنيمة تُخَمَّسُ ، فأربعة أخماسها للقائمين ، والخمس الباقي مختلف في كيفية توزيعه ، وتفصيل ذلك في كتب الفروع.
وخلاصة ما تقدم : يقال لمن يستحل أموال الدولة الكافرة ، يجب أن تثبتوا أن هذه الدار هي دار حرب ، وليست دار معاهدة ، ولم يـجـــر بينها وبين الدول الإسلامية عهد أو معاهدة أمان ، فإن تجاوزتم ذلك ، فأثبتُّم أن هذه الدول هي دار حرب ، فيقال : كيف دخلتم تلك البلاد ، هل دخلتموها بأمان أم لا؟ أنتم تدخلونها بتصريح من تلك الدولة ولم تعطكم تلك الدولة ذلك التصريح ، بل لم تسمح لكـــم بالإقامة على أرضها إلا وهي تنظر إليكم على أنكم مستأمنون ، ولستم أهل حرب ، وإلا لم تسمح لكم بالمكوث على أرضها ولا لحظة واحدة.

وبعد هذا البيان فقد عرضنا هذا السوال على العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل جبرين ، فأجاب بما يلي:
"فإن هؤلاء الشباب الذين ينتمون إلى الإسلام ويعتزون به يجب عليهم أن يظهروا تعاليمه ويبيّنوا محاسنه للخاص والعام وأن يعملوا بكل ما يستطيعونه من الإرشادات والتوجهات الإسلامية ولا شك أن منها الأمانة العامة التي وصف الله بها عباده وسماهم مؤمنين وقال - تعالى - : ((فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ))[البقرة:283] ، وهذا لفظ عام ينطبق على كل مسلم ائتمنه أي بشر ، فإن عليه أن يكـــون مأموناً في سره وفي جهره ويبتعد عن الخيانة التي وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بها المنافق في قوله : »وإذا اؤتمن خان « ، ولقد ذم الله أهل الكتاب بقوله - تعالى - : ((وَمِنْهُم مَّنْ إن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُـؤَدِّهِ إلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)) [آل عمران:75] ، أي أنهم لا يخونون أمانتهم ويدّعون أن لا حرج عليهم إذا خانوا في ذلك في حــق الأميين من العرب بزعمهم أنهم ليس لهم دين أو أن دينهم غير محـتـرم ، ولقد أكد النبــي -صلى الله عليه وسلم- حق المعاهد سواء أكان كتابياً أو غير كـتـابي ، فحرم قتله والاعتداء على ماله أو محارمه ، وكل ذلك إظهار لمحاسن الدين الإسلامي فقال تعالى: ((وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً))[الإسراء:34] وقال : ((يَا أَيُّـهَـــا الَذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ))[المائدة:1] ، ولا شك أن كل دولة قد اتفـقـت مــع غـيـرهـا على صلح وأمان إذا دخلت في حدودها وفي بلادها بعض الأفراد من غير أهلها فإن ذلك دليل أنها قد وثقت به وائتمنته وأمنت خيانته وغدره ، وإنما أباح الله أموال الكفار التي تؤخذ على وجه المغالبة بالقـتـــال ، ولا يحل ذلك مع أهل المعاهدة. قال - تعالى - : فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَـيْـنَـهُـــم مِّيثَاقٌ))[الأنفال:72] ، وقد عامل النبي -صلى الله عليه وسلم- الكفار واليهود المعاهدين بالوفاء بجميع أنواع الوفاء ، فلما قتل عمرو بن أمية الضمري رجلين من المشركين ولم يعلم بعهدهما فداهـــمـــا النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ولما قتل المغيرة بن شعبة قبل إسلامـــه قوماً من الكفار وأخــذ أموالهم جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مسلماً فقال : »أمــا الإسلام فأقبل وأما المال فلا« ، ومنع الصحابة من الاعتداء على أموال المعاهدين من المشركين وأهل الكتاب حتى نقضوا العهد عملاً بقول الله - تعالى -: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إذَا عَاهَدتُّمْ ولا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا))[النحل:91]،فكل من دخل بلادنا بأمــان فـإنـه يحـــــرم الاعتداء عليه في النفس أو في المال إلا إذا نقض العهد أو خالف ما يقتضيه الشرع ، وهـكـذا كل من دخل بلادهم بأمان فإنه يحرم عليه نقض العهد والخيانة ولو كانوا كفاراً كما ذكر ذلك المفسرون عند قوله - تعالى - : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ))[آل عمران:75] ، ونحوها من الآيات

، وإنما تباح أموال الحربيين إذا أُخـــذت على وجه المغالبة والقتال ، فأما إذا دخل الحربي بلاد الإسلام لتجارة ونحوها فإنــه يؤمَّـــن حتى يخرج ويبلغ مأمنه ، ويجوز التلصص على بلاد المحاربين واختطاف ما يقدر عـلـيــه من أموالهم بخلاف من لهم صلح أو عهد أو اعتراف من الدول الإسلامية وغيرها، فلا يجــوز الاحـتـيـال على أخذ أموالهم خيانة وغدراً فإن ذلك حرام يجب فيه التعزير والعقوبة الرادعة عن مثله. والله أعلم .

الهوامش :

1 - مغني المحتاج4/260، المغني لابن قدامة1/517، وبدائع الصنائع للكاساني 7/108، والشرح الكبير للدردير 2/106.
2- ابن كثير عند تفسير الآية.
3- للتوسع انظر أحكام الأحلاف والمعاهدات في الشريعة والقانون،للدكتور خالد الجميلي.
4- انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم 2/476.
5- انظر : اختلاف الدارين وأثره في اختلاف أحكام المناكحات والمعاملات ، ص128.
6- انظر : تفسير ابن كثير عند تفسير الآية من سورة آل عمران.
7- الغنيمة هي المال الذي يأخذه المسلمون على وجه الغلبة والقهر، وهذا بالاتفاق، انظر: الجامع لأحكام القرآن تفسير قوله - تعالى-:((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ))[الأنفال:41].

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي

نقد كتابات جودت سعيد

عادل التل

تعريفات أولية:

نطمح في هذه الدراسة إلـى وضع معايير ثابتة لتمييز وفرز الكُتاب والمفكرين الذين يتقدمون إلى الناس بالمنهج المادي ، من خـــلال الخطاب الإسلامي ، والدعوة الإسلامية ، وبعبارة أدق ، أولئك الذين يحملون النزعة المادية عند التعامل مع النصوص الشرعية. كما نهدف مـن هــذه الدراسة - ومن خلال رؤية معاصرة - إلى إبراز منهج أهل السنة والجـمـاعــة، وعرض طريقة السلف الصالح في مواجهة التحديات الاعتقادية الوافدة.

وهذه الـدراســة لا تشمل الذين يرفضون الامتثال لمنهج الله ، وبالوقت نفسه لا تهتم بالرد المباشر عليهم. وبما أن جودت سعيد يعتبر من أولئك الكُتاب المنتمين للفكر المادي والداعين إليه فإن معظم الشـواهــد في هذه الدراسة ستكون من خلال كتبه ورسائله. وقبل أن نبدأ في تحديد الارتباط بين فكر

جودت سعيد وبين المنهج المادي، نحتاج إلى إجراء مقارنة خاطفة بين الاتجاهات المعاصرة التي تهتم بتحديد مصادر المعرفة.
ولدينا ثلاثة مناهج ظاهرة تتنازع الهيمنة على الساحة الثقافية في العالم الإسلامي المعاصر:
أولاً: منهج التفكير الإسلامي "الديني": ويـتـمـثـل هـــذا المنهج بالاعتماد على النصوص الشرعية، الـمـتـمـثـلـة بالقــرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون القيمة الأساسية فيه لهذه النصوص ، وتقدَّم على كل ما عداها من مصادر المعرفة عند الاختلاف.
ثانياً:منهج التفكير الفلسفي "العقلي": ويتمثل هذا المنهج بالاعتماد على المذهب العقلي، وتكون القيمة الأساسية فيه للـعـقـل كـمـصدر للمعرفة ، ويقدم على غيره من المصادر عند الاختلاف.
يقوم المذهب العقلي على تفسير كل شيء في الوجود من خلال العقل، ســواء فـي إثـبـات الشيء أو نفيه ، أو تحديد معانيه..
ثالثاً:مـنـهـج التفكير المادي "الوضعي" : ويتمثل بالاتجاه المادي ، الذي ينظر إلى العالم الخارجي باعـتـبـاره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة ، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن وعــي الإنسان ، وغير خاضعة لشيء ، وأن المعرفة الصادرة عن المادة تقدم على كل معرفة أخرى عند التنازع.
والمذهب المادي: هو نظرية تقوم على اعتبار أن المادة هي الحقيقة الوحيدة، وأن الوجود ومظاهره وعملياته ، يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة .
ما هو المعيار الذي يحدد بموجبه الانتماء إلى أحد هذه المناهج؟
المعيار الذي يحدد الانتماء هو أسلوب التعامل مع النصوص الشرعية :
أ- فـي الـمنهج الإسلامي : نتعامل مع النصوص الشرعية بإثباتها وكما فهمها الصحابة الذين عايشــوا الـتـنـزيل وكما فهمها التابعون من الصحابة ، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة ، وطريقة السلف الصالح وأسلوب المدرسة التجديدية.
ب - في المنهج الفلسفي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية بطريق التأويل وفقاً لمعطيات العقل، وبتقديم العقل على النقل ، وهذا منهج الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة وأمثالهم، وأسلوب المدرسة العقلية المعاصرة.
ج : في المنهج المادي : يكون التعامل مع النصوص الشرعية بإلغاء دلالتها واعتبارها كأنها غير موجودة، والحصول على المعرفة من مصادر أخرى مثل التاريخ أو السير في الأرض أو أحداث الكـون ، مما يستدعي -حسب رأي أصحاب هذا المنهج - إلغاء النبوة والاعتماد على السنن (القوانين الطبيعية والاجتماعية) بديلاً عنها (آيات الآفاق والأنفس) ، وإعطاء تفسير جديد لمفهوم الوحي ومفهوم التلقي من الله ، والاعتماد على قوانين تطور الطبيعة وقوانين

تطور المجتمع في سلم الدلالات الموضوعية، وهـــذا هــــو منهج المدرسة المادية التغييرية.
ولتحديد رأي جودت سعيد ، وبيان موقفه من هذه المناهج ، قـمـت بـدراسة جميع كتبه ورسائله ومقابلاته ، ونستشهد هنا ببعض المقتطفات منها .
ونبدأ من خلال إشادته بالمنهج المادي الماركسي ، فعندما تعرض لـشـــرح آية ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))[الرعد:11] قال : الفكر المـاركـســـي لبه ومبتداه ومنتهاه في إدراك محتوى هذه الآية ، حيث لمحوا قدرة الإنسان على صـنـــع التاريخ ، والقيام بعملية التغيير ، فهذا الضجيج الذي أحدثه الفكر الماركسي خلال أكثر من مئة عام ، إنما كان تبنّيهم لهذه الفكرة وإدراكهم لها (1).
موقف غريب وعجيب في آن واحــد..! غريب أن يصدر مثل هذا الرأي عن رجل يعمل في حقل الدعوة ، ويسعى لـحـل مشاكل الأمة الإسلامية ، فإذا به يشهد للفكر الـمـاركـسـي بالأصالة والثناء عليه، وكأنه بأسلوبه هذا يُشعر الناس أن مصدر الفكر الماركسي من كتاب الله ، وظن أنه بهذه الطريقة - ومــــن خــلال ذكر الآيات القرآنية - يتمكن من تدعيم منهجه المادي بين المثقفين إسلامياً ، لقد توهم أنه يحقق هذه المهمة بنجاح ، ودون عناء أو مشقة ، وأنه يحقق بذلك ما عجز عنه أقطاب الفكر الماركسي ودعاته في بلاد الإسلام ، حين حاولوا - بالوسائل كافة وجميع السبل- إيجاد الصلة بين المنهج الإسلامي والأفكار الماركسية، ولـكــن جــودت سعيد لا يزال مستمراً في هذه المحاولة ، وهو هنا يشيد بهم ويطريهم على أنهم أول من أدرك محتوى هذه الآية من القرآن الكريم ، وعمل من خلالها. ويجب أن لا يصيبنا الدوار من هذه الآراء ، وأن لا نستغرب هذا الأمر..! لأن الأغرب من ذلك هو دعوته الشباب المسلم إلى القيام بعملية التغيير ، انطلاقاً من هذا المبدأ ، إنها دعوة سافرة لتبنّي منهج المادية ، ويعتبر كتابه "حتى يغيروا ما بأنفسهم" تحقيقاً لهذه الدعوة ، فهو يدعوه من خلاله إلى التمسك بجانب الصواب في النظرية الماركسية الشيوعية. ففي هذا الكتاب يقول : "وكذلك إذا تذكرنا أن علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم ، وأن الحكمة لا تضر من أي وعاء خرجت ، فإن الاعتراف بجانب الصواب الذي في النظرية الماركسية لا يضرنا شيئاً ، ولكن إذا رفـضـنا جانب الصواب بسبب جانب الكفر الذي عندهم لا نكون مصيبين" (2).
أية حكمة عند الماركسيين وأي صـــواب لديهم؟؟ فما لديهم إلا منهج يحمل عوامل فنائه منذ قيامه ، وهو لا يتلاءم مع الفطرة التي فُطر الناس عليها ، لذلك تزلزل وانهار كما كان متوقعاً له من قبل ، لقد كان الماركسيون دائماً يسخرون من المتمسكين بالفضيلة والحريصين على القيم ويقولون لهم : "أيها المثاليون المغفلون ، إنكم تبحثون عن سراب لا وجود له في الحقيقة.. حين

تتكلمون عن الحق والفضيلة والصدق والأمانة ، إنها كلمات جوفاء يملؤها كل جيل بما يحلو له، ولـكـنـهـا هي فـي ذاتهــا ليست شيئاً ثابتاً محدداً يمكن التعرف عليها".
لقد شعر جودت سعيد - وهو يتقدم إلينا بهذه الأفـكـار المادية - بعامل الضعف والخجل من هذا الطرح لأنه يدرك أن هناك من يخاف على دينه من هذا التوجه نحو الفكر المادي ، لذلك تراه يستخدم عبارات الاطمئنان ، ويؤكد أن الخـوف علـى آيات الله مستبعد في ظل الأفكار الشيوعية فيقول : "لم يعد هنا ما يجعلنا نخاف على آيـــات الكتاب ، لأن آيات الآفاق والأنفس ستبين أن آيات الكتاب هي الحق"(3) .
والكاتب صريح في هذا كل الصراحة ، وكأن لسان حاله يقول: خذ أفكار الشيوعيين ودَعْ كفرهم ، وربما يستمد هذا من المثل الشعبي المعروف: "خــذ مــن أقــوالهم وما عليك من أفعالهم" . وقد عبر عن ذلك بقوله : "ولكن حين يصل (الماركسي) مـن أقواله إلى القول : بأنه أصبح بناءً على ذلك من الواجب نبذ كل نظرية إيمانية على الإطلاق - هنا نقول له: إن هذه النتيجة من تلك المقدمة هي الفكرة الطوباوية الناشئة عن الكراهية والعاطفة لا عن الدراسة الموضوعية"(4) .
ومـن الـمـعـروف أن الماركسية ليست شعاراً فقط ، بل هي واقع عملي واعتقادي ولا يمكن الفصل بـيـنهـمــا ، وهم ينطلقون من شعار عريض (لا إله في الوجود والحياة مادة) ، فلو فكروا أن يخدعونا - كما خدع الكاتب من قبل - ويبدلوا شعارهم إلى عبارة أخرى مثل : (يوجد إله ولكن الحياة مادة) فهل يتبدل من الأمر شيء؟ وهل يجوز لنا أن نقبل بالنظرية المادية من الشيوعـيين من أجل التبديل الصوري؟! ، لا يكون ذلك إلا إذا أجبنا - وعلى سبيل الدعابة - أن نطلق على من يكون إيمانه على هذا النحو تسمية جديدة ، (الماركسي المسلم) أو (الشيخ الأحمر)! .
إن تقديم الأفكار الـمـاركـسـيـة من خلال إلباسها العباءة الإسلامية أمر في غاية الخطورة ، وتمثل هذه العملية حالة خداع كبيرة ، لا تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها باستمرار . ولا يزال صدى تلك المواجهـات قائماً في الأذهان ، حين حاول البعض أن يقدم الإسلام إلى الناس في ثوب الاشتراكية ، أو من خلال نظام الديمقراطية ، وقد اشتد نكير العلماء في مواجهة هذه المحاولة مما جعل معظمهم يتراجعون عن موقفهم ويتبرؤون مما كتبوه في هذا الاتجاه.
وأما جودت سعيد فكان له أسلوب آخر ، وطريقة مبتكرة للتعامل مع هذه المسألة ، حيث دعــا صــراحــة للتمسك بالفكر الماركسي من خلال الدعوة للأخذ بجانب الصواب الذي اكتشفه في النظرية الماركسية ، يقول في كتابه "حتى يغيروا ما بأنفسهم"[الرعد:11]* في أسلوب التباهي : "وحين يقول

الماركسي : إن دراسة التاريخ الاجتماعي أصبحت علماً ، ينبغي ألا نقول له أخطأت ، بل نقول له : هذا حق ، وإذا اعتبر أن مظاهر الطبيعة قادرة على إعطائنا حقائق موضوعية، علـيـنـا أن نراه تقـريــراً بأن آيــات الآفاق تعطي حقائق موضوعية ، ونزيد له أيضاً : بأن آيات الأنفس كذلك تعطي حـقــائق موضوعية"(5).

هذا هو المنهج المادي من بدايته إلى نهايته.. وهذه هي الماركسية، تطل برأسها من خلاله! والكاتب لم يدعنا في حيرة من أمرنا للتأكد من موقفه هـــذا، واعتناقه جميع الجوانب في النظرية الماركسية ، فها هو يقرر أسبقية المادة في الوجـــود كما تقررها المادية الماركسية ، ويعتقد بضرورة تقديم المعرفة الصادرة عن المادة على كل شيء كما يقدمونها.

يقول : "فالوجود الخارجي المادي هو الحقيقة الثابتة ، التي نرجع إليها عند الاختلاف ، والصور الذهنية قابلة للزيادة أو النقصان"(6) . والكاتب يلتقي في هذا المنهج المادي مع الماركسيين إلى درجة التطابق تقريباً وسأترك المجال لرمـــــوز الماركسية في إبراز جوانب الالتقاء بين أفكارهم وفكره ، يقول ستالين : "إن المادة والطـبـيـعـة والكــائن هي حقيقة موضوعية ، موجودة خارج الإدراك أو الشعور وبصورة مستقلة عنه ، وأن المادة هي عنصر أول ، لأنه منبه الإحساسات والتصور والشعور ، بينما الإدراك هو عنصر ثانٍ مشتق لأنه انعكاس للمادة"(7). وقال إنجلز: "وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء"(8) .

ومن الممكن أن يطرح القارئ علينا سؤالاًمحدداً ، هل يقدم جودت سعيد الـمادة أو الواقع على كلام الله ؟ ، يقول في رسالته - مستخدماً أسلوب السخرية من الـمـسـلـمـيـن الذين يتمسكون بالنصوص الشرعية - :

"فالمسلمون - بكل سذاجة - يظنون أن لهم القدرة على الاتـصـــال بالمعاني التي أرادها الله بواسطة هذه اللغة ، دون الرجوع إلى الواقع الــذي تتحدث عنه.."(9)، يجب الانتباه إلى استخدام أسلوب التعميم "المسلمون" دون استثناء، كما يلاحظ تجهيل الأمة التي كانت تعتمد في جميع مراحلها على اللغة العربية ، ولهذا قـال -تعالـى-:((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))[فصلت:3] . وأما وصف الـمـسلمين بالسذاجة والجهل فلا تسأل عن ذلك ، فقد ملأ كتابه بهذا اللون من التقريع دون تفريق أو استثناء ، ثم يقول محذراً المسلمين من العودة إلى النصوص أو التمسك بها: "ولكن ينبغي أن نتعمق في فهم هذه الظاهرة ، إن العودة إلى النصوص لم تكن لتحتل هذه الظـاهــرة ، ولو اقتصر على فهم هذه الحقيقة من الكلام أو من اللغة أو من النص لاستمر القـتـال، ولوجد ولأمكن أن تؤول النصوص ؛ لأن النصوص قابلة للتأويل" (10).

وها هــو هنا يرفض فهم النصوص بواسطة اللغة ، كما يرفض مفهوم التأويل ، وهو بهذا ينتصر للمـنـهـج المادي في مواجهة منهج السلف الصالح والمنهج العقلاني على حد سواء ، ولكنه ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة خطيرة وذلك بالتعبير عن كلام الله بأسلوب الرمزية. لقد تعامل الله معنا بالرموز والحقائق ، وقال لنا بأن نرجع دائماً إلى الواقع والنظر فيه ، وأن الرموز إن هي إلا مساعدات مرحلية مؤقتة يمكن أن تختلف بحسب الزمان والمكان ، ولكن سننه الواقعية لن تتغير وكلما رجعنا إليها نجدها كما هي ثابتة : ((فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ولَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً))[الأحزاب:43] ، وليست الرموز إلا ((أَسْمَاء)) ((مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ))[الأعراف:71] (11) ، وموضع الخطر هو اعتبار كلام الله رمزاً وهو اللغة ، وأن الواقع يمثل الحقائق ، ثم يظهر تناقضه الفاضح حين ذكر في أول الكلام أن الله تعامل مع البشر بالرموز ثم قال في نهاية الكلام : إن الرموز ((مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ)) [الأعراف:71] ، والله - تعالى - يقول : ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)) [البقرة: 31]، وهـكـذا يصبح الواقع المادي عنده مقدَّماً على كلام الله ، حيث يقول حول ذلك : "فحين يلح الـقـــرآن الكريم على الرجوع إلى الكون المادي والاجتماعي لفهم سننه ونظامه ، فإنه يدل بذلك عـلـى أن الـواقــــع أدل على ذاته في كلامه له"(12) ، وهذا تصريح واضح في اعتماد الواقع واستبعاد كلام الله، وقد قاده هذا الاعتقاد إلى موقف أشد خطراً وأبعد ظلماً، وذلك بالإعلان عن انتهاء مهمة النبوة نفسها ، والتعامل مع السنن والقوانين.

انتهاء النبوة :

يقــول الكاتب : "من هنا لما بدأ الاهتمام بالواقع والتفاهم مع الله بواسطة سننه ، توقفت النبوة لأن النبوة مرحلة انتهت"(13) ، ويقوم هذا الرأي من واقع إيمانه بمراحل التاريخ واعـتـبـار مـرحلة البشرية خلال فترة الأنبياء مرحلة طفولية ، والمرحلة المعاصرة مرحلة مراهقة ، وأن البشرية بدأت تتجه نحو مرحلة الرشد ، وقد استمد هذا التصور من آراء (أوغست كونت) مؤسس المذهب الوضعي المادي في أوربا ، وعن مرحلية النبوة يقول نقلاً عن إقبال : "إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة - ختم - النبوة نفسها ، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً - إلى الأبد - على مقود يقاد منه وأن الإنسان لكي يحصل على كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يُترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو"(14). هل يصدق أن هذا الكلام يصدر عن إنسان عاقل؟ أن يقرر انتهاء مهمة النبوة؟ وتسليم زمام الأمور إلى الإنسان ، وهذا ما دعا إليه علماء أوربا الوضعيون الماديون ، وهذه الفقرة بالذات مستقاة من أفـكـار "فـريـدريـك نـيـشـتـه" الذي كان يقول بنظرية الإنسان الكامل أو (إنسان السوبر مان)(**)، ويقرر الكاتب أن البديل عن النبوة التي تتضمن نـصـوصـــاً مــن كـلام وحروف إلى

السنن التي ليـسـت كـلامــاً وحروفاً ، فانظر إلى قوله : "انتبه إلى هذا محمد إقبال ، وخاصة في بحث ختم النبوة ، لماذا ختمت النبوة ؟ ولم يعد نبي ولا كتاب ، لأن الكتاب والنبي الخاتم دلنا على الطريق الذي لا ينتهي ، دلنا على الكلام الذي ليس هو كــلام حروف ، وإنما حقائق ملموسة"(15). أليس هذا تصريحاً باستبعاد كلام الله مــن العمل ، والاعتماد على الكلام الذي يمثل الحقائق الملموسة؟ أي الحقائق المادية الحسية.
ولنا أن نتساءل كما أن من حق القارئ أن يتساءل معنا كيف يتصور جودت سعيد النبوة؟ وما هي الصيغة التي يعتمدها في تحديدها؟.
ينسجم رأيه حول النبوة مع مفهومه المادي ، وإيمانه بالتطور ويعبر عن ذلك بقوله :
"وفـي طـفــولـة البشرية ، تتطور القوة الروحية إلى ما أسميه "الوعي النبوي" وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي وذلك بتزويد الناس بأحكام واختيارات جاهزة ، وأساليب للعمل أعدت من قبل"(16).
إذن النبوة قوة روحية واستعداد شخصي واختيارات وأساليب للعمل أو وعي نبوي لا أكثر ولا أقل ، فأين الوحي المباشر من الله (تعالى) ؟!
يقول ابن تيمية: "والمتفلسفة الذين أثبتوا النبوات على وجه يوافق أصولهم الفاسدة - ابن سينا وأمثاله - لم يقروا بأن الأنبياء يعلمون بخبر يأتيهم عن الله، لا بخبر مَلَك ولا غيره، بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة وعقلية أكمل من غيرهم في قوة الحدس ويسمون ذلك .. القوة الحدسية.." (17).
ومـن أجـــل هذا المفهوم يعتـقــد محمد إقبال وجودت في ضرورة انتهاء النبوة وإلغاء دلالة النصوص الـصـادرة عنها وفي ذلــك يقول الثاني : "الذي أريد أن نفهمه من هذا أن دلالة الكتاب يمكن أن تُلغى إلغاءً تاماً، وكأنها غير موجودة ، والذي سينبه المسلمين إلى هذا، ما جاء في الكتاب من الاهتمام بالتاريخ وأحوال البشر وحوادث التاريخ،أي أن الذي سيعلّمنا ليس القرآن ، وإنما نفس حوادث الكون والتاريخ هي التي ستعلمنا.. "(18).
ثم يقول بما يؤكـد تقديمه للواقع على كل شيء ولو كان كلام الله:"إن صخرة ما أدل على نفسها من كل كلام يقال عنها حتى لو كان كلام الله .."(19). وقد لوحظ أن جودت سعيد يتضجر ويتضايق كلما احتج عليه أحد بقوله: قال الله أو قال الرسول،أو حتى مجرد ذكر الله أو الرسول. ويتضح ضيقه في قوله:".. لم تعد ترهبني قعقعة الكلمات: الروح، النفس، الله أو الرسول أو قال فلان وفلان، نريـد أن نتـحـــدث مـــاذا يحدث لنا، وكيف يحدث الفهـم؟ كـيــف يـعـرف ما فهمناه أننا فهمناه ؟ وكيف انتقـلـت إليَّ هذه الأفكار؟ دعونا من الحديث عن السماء ، ولنبحث في الأرض ، لنعد إلى الإنسان المولود على الفطرة.

كيف تصوغ البيئة هذا المولود ؟! ، إن ما يحدث أمامنا بقوى تحيط بنا وتصدر منا وليس غيباً ولا خارقاً ، كما أنها ليست مما لا يستطيع العقل فهمها" (20).
لماذا لم تعد ترهبه كلمات "الله" أو "الرسول" ؟ ماذا حدث عنده حتى فقدت هذه الكلمات قدسيتها في نفسه؟؟ ألسنا مسلمين؟؟ لماذا يريد منا أن ندع الحديث عن السماء ، ونخلد إلى الأرض ؟ ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ (175) ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ))[الأعراف:175-176] .
* يتبع *

المراجع :

1- كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، جودت سعيد ، ص219.
2-3 كتاب "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ، جودت سعيد ، ص80.
4- المصدر السابق ، ص81 .
* وضع المؤلف هذه الآية الكريمة عنواناً لكتابه .
5- المصدر السابق ، ص81.
6- كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، جودت سعيد ، ص57.
7- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ص29.
8- فورباخ ونهاية الفلسفة ، ص16 ، طبعة دار التقدم بموسكو.
9- رسالة "انظروا" ،40، اللغة والواقع ، جودت سعيد ، ص4.
10- المصدر السابق ، ص5 .
11 - المصدر السابق ، ص7.
12- المصدر السابق ، ص8.
13- المصدر السابق ، ص7.
14- كتاب العمل ، ص131 ، جودت سعيد ، وتجديد الفكر الديني ، محمد إقبال ، ص143-145.
** ذكر هذه النظرية الفاسدة في كتابه المترجَم الى العربية "هكذا تكلم زرادشت". البيان
15- رسالة "انظروا" ، 40 ، ص7.
16- كتاب العمل ، جودت سعيد ، ص130.
17- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، 1/179.
18-19 رسالة "انظروا" ، 40 ، ص8..
20- المصدر السابق ، ص4.

مصطلحات

الزندقة

عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف

أصل هذه الكلمة :

يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن لفظ الزندقة : "هو لفظ أعجمي معرَّب ، أُخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام ، وعُرب .." (1) ..

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عـن أصل الزنادقة: "أصل الزنادقة أتباع دَيْصان ، ثم مانيّ ثم مزدَك وحاصل مقالتهم أن الـنـور والظـلـمة قديمان ، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما ، فمن كان من أهل الشر فهو من الظـلـمة ، ومن كان من أهل الخير فهو من النور"(2).

ويذكر بعض المؤرخين أن زرادشت أتى بكتاب "البستاه"، فـمـن أعـرض عـنه ، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا الزندي ، فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى مـن الفـرس ، وقالوا زنديق وعربوه.

وقد عدَّ الإمام الملطي - رحمه الله - الزنادقة أول الطوائف افتراقاً ، ثم ذكر فرق الزنادقة فقال : "أول من افترق من هذه المذاهب : الزنادقة ، وهم خمس فرق المعطلة والـمـانـويــة والمزدكية والهبدكية والروحانية"(3). وقال الجاحظ : إن الزندقة فشت في النصارى فقال: "ودينهم - يرحمك الله - يضاهي الزندقة ، ويناسب في بعض الوجوه قول الدهرية ، وهم من أسـبـاب كـل حـيـرة وشبهة. والدليل على ذلك أنَّا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى ، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم.. "(4).

إطلاقات الزندقة ومعانيها في الإسلام :

استخدم هذا المصطلح فـي مـعــانٍ متعددة .. فبعضهم يطلقه على الثنوية المجوس ، وهو موجود في بعض معاجم اللغة العربية مثل تاج العروس (مادة ز ن ق ، فصل الزاي من باب القاف) ومختار الصحاح (مادة ز ن د ق) وغيرهما ، وربما أطلق الزنديق على الدهري كما في لسان العرب (5) ، ومنهم من يطلقه على من لا يؤمن بالله واليوم الآخر كما ذكر ذلك ابن القيم في إغاثة اللهفان (6) ، ونجد أن الفقهاء يطلقون الزنديق على المنافق ، يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته ، فالمراد به عندهم المنافق ، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر"(7).

ويقول الحافظ ابن حجر:"ثم أُطلق الاسم (الزنديق) على كل من أسرَّ الكفر وأظهر الإسلام، حتى قــال مــالـك : الـزنـدقـة ما كــان عليه المنافقون ، وكذا وأطلقت جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم : أن الزنديق هــو الـذي يـسـرّ الإسلام ويخفي الكفر" (8) وبعض علماء السلف يطلقه على الجهمية ، كما يفعل ذلك الإمام عثمان بن سعيد الدارِمي (ت 282 هـ) في كتابه "الرد على الجهيية"(9) ، وفي كتابه "النقض على بشر المريسي" (10). وقد يُرمى صاحب المجون والفحش بالزندقة(11).

عقائدهم :

إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كماً هائلاً من صـنـوف الـكـفـر الصريح ، والردة الظاهرة ، كقولهم بالحلول ، وتأليه البشر ، وتشبيه الله - تعالى - بخلقه ، وإنكار النبوة أحياناً ، وادعاء النبوة أحياناً أخرى! والقول بالتناسخ ، وإنكار القيامة والجنة والنار ، واستحلال المحرمات وجحد الواجبات ..(12).

آثارهم :

خلّف الزنادقة آثاراً سيئة وعواقب وخيمة على الأمة المسلمة ، فأشعلوا ثورات سياسية وأفسدوا البلاد والعباد ، كما فعلت القرامطة والإسماعيلية والمقنعية ، وغيرهم من فرق الزنادقة. كما أن بعض الفرق الإسلامية قد تزندقت ، وخرجت من دين الإسلام ، كما هو الحال في غلاة الشيعة ، والخطابية من المعتزلة ، والاتحادية من المتصوفة وغير ذلك.

اتخذ الزنادقة التشيع مطية ذلولاً في نشر مذهبهم ، يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن الشيعة : "ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ، فملاحدة الإسماعيلية وغيرهم من الباطنية المنافقين ، من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا ، واستولوا على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخـــــذوا الأموال ، وسفكوا الدم الحرام.. إذ كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين - رضي الله عنه - فحرَّق منهم طائفة بالنار ، وطلب قتل بعضهم ففروا من سيفه البتار" (13).

من جهود الخلفاء في محاربة الزنادقة :

اجتهد الخلفاء في تتبُّع الزنادقة والقضاء عليهم واستئصالهم ، حفاظاً على الدين وأهله.. فـهـذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يأمر بإحراق الزنادقة كما روى البخاري (14) ، واشتهر الخليفة العباسي المهدي بالعناية بذلك ، حيث عين رجلاً ليتولى أمور الزنادقة. ويقول ابن كثير - في حوادث سنة 167هـ - : "وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه"(15) .

ووصى المهدي ابنه موسى الهادي الخليفة من بعده بذلك.. وقد أنفذ الهادي تلك الوصية، يقول ابن كثير - في حوادث سنة 169هـ -:"وسعى الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق، فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه"(16).

كلمة في أهمية الموضوع :

تظهر أهمية هذا الموضوع لعدة أمور ، منها:

أن فكرة الزندقة والإلـحـــاد موجودة منذ الـقـدم ، حيث كانت معروفة عند قدماء اليونان والهندوس والفرس، كما أن الزندقة موجودة وظاهرة في

العصر الحديث ، وقد قام الزنادقة - عبر العصور الإسلامية - بثورات سياسية وأعمال تخريبية ، والأولى من ذلك أنهم أثروا تأثيراً بالغاً على معتقدات بعض الفرق التي تدَّعـي الإســـلام ، بل نجد أن بعض الفرق قد "تزندقت" ، وأمر ثالث يؤكد أهمية ذلك وهو أن المستشرقـيـن قـد اعتنوا عناية كبيرة بهذا الموضوع ، فكتبوا دراسات مستقلة عن بعض الزنادقة، ولكنهم - كما هي عادتهم - دافعوا عن هؤلاء الزنادقة وعن آرائهم ، ولمّعوهم وأثنوا عليهم خـيــراً (17) ، ولا ننتظر من هؤلاء المستشرقين أكثر من ذلك ، وقد أشربت قلوب أكثرهم حب كل ما يناهض الإسلام الصحيح الأصيل،ولا أنسى أن أذكر أن البعض قد كتب عن الزندقة وانتقدها، وكله من أجل الدفاع عن القومية العربية؛ حيث إن الزندقة وثيقة الصلة بالشعوبية الفارسية المجوسية المناهضة للقومية العربية.

الهوامش :

1- بغية المرتاد (السبعينية) ، ص 338 ، وانظر رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (ت940هـ) ، ص 47 ، والتي نشرت بتحقيق د.حسين محفوظ في أحد أعداد مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد.
2- الفتح ، 12/270-271.
3- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص91.
4- رسالة في الرد على النصارى ، ص17.
5- مادة "زندق" ، 10/147.
6- 2/246.
7- السبعينية ، ص338.
8- الفتح ، 12/271 .
9- ص352.
10- ص475-563 ، وقد نُشر سنة 1939 بعنوان : رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد.
11 - انظر : كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبد الرحمن بدوي ، ص28 ، وكتاب الزندقة والزنادقة لعاطف شكري ، ص109.
12- انظر توضيحاً لذلك على سبيل المثال : كتاب الفَرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي في باب الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها.
13- منهاج السنة ، تحقيق د.محمد رشاد سالم ، 1/10-11.
14- انظر : الفتح 12/267.
15- البداية والنهاية في التاريخ 10/149.
16- البداية والنهاية في التاريخ ، 10/157.
17- انظر : كتاب "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" لعبد الرحمن بدوي، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ،10/440-446.

وتريدون أن يُمَكَّنَ لكم !

محمد العبدة

لابد أن تكون الدعوة في بدايـتـهـا قوية مندفعة ، تُبذل في سبيلها طاقات تحتمل أكثر مما كانت تحتمل ، وترتفع فيها درجـة الإيمان والسمو الأخلاقي حتى يستطيع الفرد تحقيق ما يعجز عنه أمثاله ، بل عشرات أمـثاله من الآخرين . هذا هو الذي يعجل بالانطلاقة ، حتى تدور رحى الإسلام كما دارت أول مرة ، وكما سطع نوره في كل فترات التجديد.

وفي مثل هذه الأجواء يتغلب المثل الأعـلـى عـلـى كل جواذب الأرض ، ويعيش المؤسسون الأوائل ومن يلتفّ حولهم ظروف التفاني والإخــــلاص ، وتكون علاقاتهم الاجتماعية في ذروة التآخي والتلاحم ، هكذا نحجت الدعوة الإسـلامـيـة الأولى وهكذا ارتفع المهاجرون والأنصار فوق العصبية القبلية والإقليمية والقومية ، كما ارتفعوا فوق الأنانيات الشخصية ، ولم يحْتَجْ المسلمون - وهم مضطهدون في مكة ولا حتى عندما قامت لهم دولة في المدينة - إلى قضاة أو محاكم لفض خصوماتهم ، وأقصى ما يفعلونه أن يشتكي أحدهم إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسبب كلمة أو هفوة قِيلت في حقه ، أو يعترف هو للرسول -صلى الله عليه وسلم- بذنبه ليقيم عليه الحد كما في قصة ماعــز والغامدية ، وذلك لأن الوازع كان من داخل أنفسهم ، وكان ميزان الشرع هو الميزان الوحيد الذي يتعاملون به ، وعاش العالم الإسلامي دهراً بتأثير تلك الاندفاعة العظيمة .

يطلب المسلمون اليوم نجاحاً للدعوة ، ولكنهم يمارسون أعمالاً ويسلكون سلوكاً أدنى بكثير مـمـا يُـطـلـب للإحياء والتجديد ، ويذكرون الخلافة الراشدة في أحاديثهم وكتبهم ، ولكن تصرفاتهم ليست قريبة من تلك الصورة الوضَّاءة .

كانت الرعية تقدم الطاعة لأبي بكر عن رضا وطواعية ودين، وليس عن رهبة أو رغبة، لا طمعاً في مال أو منصب، ولا لأنه من قبيلة معينة، وكـان الخلفاء الراشدون يعاملون الرعية بمثل ذلك فلا يقربون أحداً لأنه صاحب مال، أو لأنه ضـعـيـف الشخصية لا يعارضهم في شيء، أو بسبب قرابة قريبة، كل ذلك كان غير وارد فـي أذهانهم ، فهل يتعامل المسلمون اليوم بهذا السلوك؟ الواقع يدل على أنهم يتعاملون بالطرق التي أحدثت بعد الراشدين فقد يقرَّب صاحب المال ، ويكون له الأمر والنهي وإن لم يكن في العير ولا في النفير، وقد يقرب صاحب الشخـصـيــة الضعيفة حتى لا يعارض ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، وأمـا الــذي ينصح ولا يداهن ويتكلم عن الأخطاء - ولو كان ضمن الضوابط الشرعية - فهو شخص غير مرغوب فيه غالباً .

فهل نستطيع بهذه العقلية ، وهذه الأخلاق أن ننهض ويكون لنا شأن ؟!

مراجعات في عالم الكتب

كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟

تأليف : محمد قطب

عرض : عثمان ضميرية

-1-

الواقعة التاريخية حادثة مفردة تـقـع مـرة واحدة ثم تنقضي ولا تتكرر. وإذا كان الباحثون والمؤرخون يتفقون على وقوع الحادثة فإن تفسيرهم لها وتعليلهم لأسبابها ودوافعها يختلف باختلاف المنهج الذي ينتهجه كل منهم ، متأثراً في ذلك بعقيدته وتكوينه الفكري والثقافي ، وتصوراته التي ينطلق منها في النظر للحياة البشرية ، ودور الإنسان في هذه الأحداث .
ولذلك كانت الدعوة إلى كتابة التاريخ البشري كله "من زاوية الرصد الإسلامية التي تقيس الإنجاز البشري بالمعيار الرباني ، أي بمــدى تحقيق الإنسان لغاية وجوده التي خلقه الله من أجلها .. ؛ لأن هذا التاريخ يقدَّم لنا من زوايا تختلف اختلافاً جذرياً عن زاوية الرصد الإسلامية، فلزم أن نعيد كتابته ليتناسق مع الرؤية الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فتكون لنا وحدة في التصور تتناسب مع كوننا مسلمين" .
ولئن كان ذلك ضرورياً بالنسبة للتاريخ البشري عامة - خارج نطاق الأمة الإسلامية - فإن الضرورة أشد والحاجة أكثر دينياً ومنهجياً لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي خاصة.

-2-

والكتاب الذي نعرضه قديم جديد ، وهو للمفكر الإسلامي الأستاذ الداعية محمد قطب - حفظه الله وبارك في عمره وجهده وجهاده - والكتاب ضميمة جديدة مكملة لما سبقه من أبحاث وكتب، وقدمها الأستاذ محمد قطب - ذات صلة بالموضوع - مثل "واقعنا المعاصر" و"حول التفسير الإسلامي للتاريخ" ..
أما إنه كتاب قديم ، فلأنه "كان مكتوباً منذ خمسة عشر عاماً على الأقل ، إن لم يكن أكثر، ولم يُقدَّر له أن يُنشر خلال المدى الطويل ، لأنه كان في حاجة إلى مراجعة أخيرة".
وأما إنـه كتاب جديد ، فلأنه يُنشر لأول مرة في طبعته الأولى منذ العام 1412هـ نشرتين متزامنتين، صــدرت إحـداهــمــا عن "دار الأفق" بالرياض ، والأخرى عن "دار الشروق" بالقاهرة(1).

-3-

وكتابنا هذا "كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟" يتضمن الصورة الأخيرة لتفكير الأستاذ محمد قطب في موضوع كتابة التاريخ الإسلامي ، ويقدم منهجاً إسلامياً وإطاراً للفكرة ذاتها. وهو يشعر جيداً - منذ البداية - بضخامة هذه المهمة وخطرها ، ومدى الجهد اللازم لإنجازها . فهي أضخم من أن تكون جهد أفراد متفرقين في جيل من أجيال المسلمين ، إنما تحتاج إلى جهد جماعي منظم تقوم به مؤسسات متخصصة على مدى قد يمتد بضعة أجيال.. ومع ذلك فلابد من القيام بهذا الـعـمـل، رغم المشقة البالغة فيه ، لأنه ما من أمة تستطيع أن تعيش بلا تاريخ ممحص محقق مـيسـر التناول على جميع المستويات ..
ولـذلك يدلي الأسـتاذ محمد قطب بدلوه المتواضع (كما يصفه فضيلته) في أمر المنهج الذي ينبغي أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي ، ومما نقتطف منه مقتطفات سريعة ، لعلها تلقي ضوءاً في مراجعة عامة للكتاب ، والله الموفق.

-4-

هناك عدة ملاحـظـات فـي أكثر من اتجاه ، تجعلنا نلح على ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي :
* فإذا نظرنا إلى المصادر الإسلامية القديمة، نجد فيها ذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات ، تصلح زاداً للمتعمق ، ولكنها - بصورتها الراهنة - لا تصلح للقارئ المتعجل الذي يريد خلاصة جاهزة ممحصة ، سهلة الاستيعاب والهضم..
* وإذا نظرنا ، من ناحية أخرى ، إلى معظم المراجع الحديثة المتأثرة بالمنهج الاستشراقي ، نجدها مكتوبة بصورة جذابة مغرية بالقراءة من ناحية الشكل ، ولكن عيبها من الناحية المنهجية أن أغلبها بعيد عن الأمانة العلمـيـة الواجبة ، ملون تلويناً لتحقيق هدف معين ، تكنّه صدور لا تحب الخير لهذا الدين.
* وسواء أكانت هذه المراجع من تأليف المستشرقين مباشرة ، أو من تأليف تلاميذهم ، فإن هذا العيب المنهجي الخطير يجعل مراجعهم غير صالحة للاستمداد منها ، ويجعل إعادة النظر فيما تناولته من وقائع وتفسيرات - أمراً بالغ الأهمية..
* وهناك عيب رئيسي آخر في تلك الكتابات والمناهج بصفة عامة هو التركيز على التاريخ السياسي للمسلمين على حسساب نجقية مـجـالات الحياة الإسلامية : العقَدية والفكرية ، والحضارية ، والعلمية والاجتماعية.. إلخ ، وذلك يعطي صورة مشوهة ممسوخة!

وذلك أن تقسيم التاريخ إلى مراحل سياسية، والحديث عن كل مرحلة ، كأن هناك حدوداً فاصلة في مجرى التاريخ كله تفصل بين عهد وعهد ، وتجعل كل عهد قائماً بذاته - هذا المنهج يقطع التواصل التاريخي بين أجيال هذه الأمة ، كأنما لم تكن أمة واحدة متصلة ، وكأنما لم تكن بالذات هي "الأمة الإسلامية".
* وأمر آخر من أمور الدلالات التاريخية نفتقده حين يغيب عنا المنهج الصحيح لدراسة تاريخ الأمة الإسلامية هو : علاقة أوضاع هذه الأمة - في خصوصيتها التي أخرجها الله من أجلها - بأوضاع البشر على اتساعها..

-5-

ولذلك فحين نعيد كتابة التاريخ الإسلامــي ينبغي أن نوجه انتباهنا إلى أن التاريخ ليس مجرد أقاصيص تُحكى ، ولا هو مجرد تسجـيـل للوقائع والأحداث.. إنما يدرس التاريخ للعبرة ، ويدرس للتربية. وكل أمة تصوغ تاريخها بحيث يؤدي مهمة تربوية في حياتها. وهذا ما نفتقده في الكتابات المعاصرة لتاريخنا !، التي تشتت ولاء المسلم وتجعله متذبذباً بين الإسلام وتلك الجاهليات التي يبعثها المستشرقون..
فينبغي - إذن - كتابة التاريخ الإسلامي بحيث تـؤدي مهـمـة تربوية في تخريج أجيال مسلمة تعرف حقيقة دينها وتتمسك به ، وتعمل على إحيائه في نفوسها وفي واقعها..

-6-

* وفي سبيل تحقيق هذا الهدف التربوي علينا أن نبرز جملة من المعاني في تاريخ الأمة الإسلامية، لا نجدها بارزة المعالم في كثير من الدراسات المستحدثة على وجه الخصوص:
1 - أن التوحيد هو النعمة الكبرى التي أضفاها الله على هذه الأمة ، وهو الهدف الأكبر الذي أُخرجت هذه الأمة من أجله ، وكُلفت بنشره في الأرض ، التوحيد بمعناه الكامل الشامل الذي يعمل في مساحة واسعة تشمل الحياة كلها.
2- يجب أن نتبين من دراسة التاريخ أن التوحيد حركة تحـريـريـة شاملة للإنسان كله ، وللحـيـاة مـن كــل جـوانـبـها.. وأنه الذي أنشأ أمة فريدة في التاريخ تجتمع على أساس العقيدة، التي تليق أن يجتمع الناس حولها وعليها.
3- وأن نتبين كذلك أن حــركــة الفـتـح الإسـلامي كـانـت حركة فريدة تختلف عن كل الحركات التوسعية في تاريخ الأمم كلها ، من حيث الهدف والآثار.
4- ثم تولدت عن حركة التوحيد الكبرى حركة علمية وحركة حضارية متميزة.
* هذا كله بعض ما ينبغي إبرازه في إعادة كتابة تاريخ الأمــة الإسـلامـيـة في عصر صدر الإسلام. ومرحلة المد الإسلامي ، فإذا درسنا فترة الانحسار فيجب أن ننظر فيها إلى جملة من العوامل الداخلية النفسية ، وهي تعطينا الأسباب

الحقيقية للانحسار الـذي نشأ عن بُعد هذه الأمة عن مصدر قوتها وعزتها ، وعندئذ زال التمكين لها ، وكانت سـنة الله في تمكين غيرها لأمد.

* وفي الجولة الأخيرة من حياة هذه الأمة "واقعنا المعاصر" ينبغي التنبه إلى أمور كثيرة في كتابة تاريخها لكثرة ما دُسَّ فيها من عوامل التشويه والتوجهات السامة التي يقصد بها التدمير ، كالإيحاء بأن الإسلام قد استنفد أغراضه ، وأن اتخاذ الحضارة العلمانية منهجاً للحياة هو طريق الإنقاذ وسبيل التقدم! وكذلك إبراز التيارات الهدامة الوافدة مع الغزو الفكري ، من وطنية وقومية واشتراكية ، وتمجيد أصحابها وتصويرهم بصورة الأبطال مع إهمال البطولة الحقة في تاريخنا الإسلامي ، وأخيراً: تصوير الصحوة الإسلامية على أنها الخطر الداهم الذي سيؤدي بالعالم إلى الدمار..

-7-

تلك أمور تدعو لإعادة كتابة التاريخ الإسـلامـــي من جديد ، وفي فصول الكتاب تفـصـيـل وتطبيق للمنهج الذي أقام معالمه الأستاذ محمد قطب، ولذلك جاء الحديث عن "الجاهلية" و"الإسلام" و"البعثة وصدر الإسلام" ثم "المد الإسلامي" ودراســة "بـدء الانحســـار" لأخذ العبرة لتكون زاداً على طريق "الصحوة الإسلامية" التي تبشر بتحقيق وعد الله - سـبحانه - لهذه الأمة بالتمكين والنصر عندما تفي بشرط ذلك كله ، ثم يغلق الكتاب بهــذه العبارة المتفائلة التي تصدر عن إيمان عميق بوعد الله - سبحانه - وبشارة نبيه -صلى الله عـلـيه وسلم- : وهو يستشرف المستقبل الزاهر : "وذات يوم - مقدَّر في علم الله - ستأتي الجولة الممكّنة للإسلام ، التي بشر بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ))[الروم:4-6].

-8-

وبعد .. فإنه كتاب جدير بالقراءة، بل جدير بالدراسة المتأنية العمـيـقـة، ولـعـل أصحاب الاختصاص من كُتاب التاريخ الإسلامي يبدون رأيهم في هذا الـمـنـهـج ككتابة الـتـــاريخ الإسلامي ، فقد يضيفون جديداً أو يستدركون فكرة ، أو يؤيدون صواباً.

ونسأل الله - تعالى - أن يبارك في جهد المؤلف ، وأن ينفع به وبعلمه ، وأن يهيئ له من الأسباب لإنجاز ما وعد به من كتب تالية ، وأن يتقبلها عنده.

الهوامش :

1 - وأجـــد هذا مناسباً للإشارة إلى ملاحظة غاية في الاهمية ، في طريقه الأستاذ ومنهجه في الكتاب والـتـألـيـف ؛ فهو يتأنى ويتأنق في كتبه ، فيكتبها بعد أن تـنـضـج الفـكـرة ثم يراجعها ويعيد مراجـعـتـها. وقد يتوقف الكتاب عن

النشر سنوات تبلغ عِقدين أو ثلاثة - يُصدر أثناءها عدداً من الكـتب والدراسات - لأنه يحتاج إلى مراجعة أو إضافة. وهذا يعني أنه يخرج للقراء كتاباً ناضجاً، وبحثاً نافعاً، يمكث في عقول الناس وقلوبهم ، كـمـا يحتل مكانه اللائق في مكتباتهم. ولعل في ذلك درساً لأصحاب الزبد من الكتب، الذين يتطـلـعـون لإصدار كتاب جديد كل شهر ، ليضربوا بذلك رقماً قياسياً في عدد المؤلَّفات والمنشورات! ، يسودون أوراقاً يزعمونها تأليفاً ، ثم يقذفون بها لتخرج كتاباً "خديجـــاً" ، لا غَناء فيه ولا خير ، وإن كان فهو غناء قليل! والكتب كالإبل ، مائة لا تجد فيها راحـلــة ، وهذه الكتب مائة لا تجد فيها كتاباً!.

رسالة عدائية ضد المسلمين فى أوربا

د.أحمد إبراهيم خضر

وجهت الفتيات المسلـمـات الثلاث - اللاتي تمسكن بحُجبهن في المدارس الفرنسية وأرغمن وزير التربية الفرنسي على الإقرار بحقهن في ذلك - صدمتين قاسيتين للعقلية الغربية. كان الغربيون مطمئنين إلى أن أبناء المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ويتعرضون لقيم الحياة الغربية في المدرسة وعبر رسـائـل الإعــلام فـي طـريقـهـم إلى الانصهار الكامل مع المجتمع الغربي والذوبان فيه. كانوا يعرفون أن انحسار سلطة الآبـــاء على أبنائهم سوف يؤدي إما إلى تعريض الأسرة المسلمة في بلاد الغرب لمواقف اجتماعية قابلة للانفجار - يترتب عليها ردود فعل عنيفة - أو أن تعيش هذه الأسرة في حالة صراع مـــع المجـتـمـع كـكـل. كانوا مطمئنين إلى أن ظروف الحياة الغربية سوف تخرب أخلاق الشباب المسلم وتفصلهـم عــن عـائـلاتـهـم ، وأن تعرض هذا الشباب للخمر والتدخين والأطعمة المحرمة ، والإغراءات العديدة المتوفرة في المـــدن الغربية سيبعد هذا الشباب حتماً عن دينه. كانوا مطمئنين كذلك إلى شدة تأثـيـر أعلـى درجــات العلمانية في المدارس الغربية على الشباب المسلم ، فجاءت واقعة الفتيات الثلاث في قلـب المدارس الفرنسية صدمة شديدة أيقظتهم مما اطمأنوا وركنوا إليه طويلاً .

أمــا الصدمة الثانية لـلـعـقـلـيـة الغربية فكانت استسلام وزير التربية الفرنسي أمام إصرار الفـتـيات على التمسك بحجبهن . فهم الغربيون هذا الاستسلام بأن المسلمين قد نجحوا في فرض مصـطـلـحاتهم الخاصة عـلـى المجـتـمـع الأوربي ، وأن الوزير الفرنسي قد سمح - بموقفه هذا - بخـــرق القيم الغربية. كانوا يأملون أن يجبر الوزير الفرنسي هؤلاء الفتيات على خلع الحـجــــاب لأن القيم الانضباطية الإسلامية التي يفرضها الإسلام على معتنقيه ليست ذات قيمة - فـي نظـــرهم - للبلاد كلها ومــن ثَم فـإنـهـم يـرون : أن

على المسلمين المقيمين بينهم أن لا يخضعوا لهذه القيم ، وأن عليهم أن يتركوا أنفسهم لوسائلهم الخاصة وليس لما يفرضه عليهم الإسلام من التزام وانضباط .

دفعت هاتان الصدمتان الشديدتان (أنتوني هارتلي) رئيس تحرير مجلة(Encounter)* إلى تدقيق النظر في أوضاع المسلـمـيــن في أوربا وتوجيه رسالة تحذيرية للحكومات الغربية صريحة أحياناً ، وضمنية أحياناً أخـــرى ، مما سماه بالتوسع والبعث الإسلامي في أوربا والأخطار الناجمة عن وجود الأعداد المـتـزايدة من المهاجرين المسلمين في الدول الأوربية. وجد (هارتلي) أن عدد المسلمين في بريطانـيــا يقدر بمليون ونصف ، وفي فرنسا من 2.5-3 ملايين ، وفي ألمانيا هناك ما لا يقل عن 1.9 ملـيون مسلم ، غالبيتهم من الأتراك بالإضافة إلـى مائة وثلاثين ألف عربي ، ومائة ألف من مـسـلـمي البوسنة. وفي إيطاليا ما يقرب من 1.7 مليون يدخل معظمهم إليها بتأشيرة سياحية ثم يـبـقون هناك. وفي بلجيكا مائتي ألف مهاجر من تركيا وشمال إفريقية ، أما في هولنده فهناك 285 ألـف مسلم من المغرب وتركيا وسورينام. وجد (هارتلي) أنه على الرغم من أن غالبية العمالة المـسـلـمة في بريطانيا عمالة غير ماهرة فإن نسبة عالية من هذه العمالة تشغل وظائف مهنية . ووجد (هارتلي) أيضاً أن في فرنسا وحدها ما يقارب من ألف مسجد وزاوية صلاة تقام فيها شعائر الإسلام، وستمائة في بريطانيا يتلقى فيها الأطفال المسلمون تعاليم القرآن وتعتبر مراكز تجمعات للمسلمين. وصـلـــة المسلمين بوطنهم الأم لم تنقطع، وما يحدث في هذا الوطن من حركات إسـلامـيـة وبعث إسلامي يتردد صداه بين هؤلاء المهاجرين إلى العالم الأوربي.

أزعـجـــت هـــذه الحقائق (هارتلي) لكن الذي أفزعه هو أن هؤلاء المهاجرين قد نجحوا في إدخال الـمـعـتقـــدات والأعراف الإسلامية إلى المجتمعات الصناعية الغربية ، وخشي أن تتخلى هذه المجتمعات عن قيمها وأعرافها ، وأن تخضع للقيم والمعايير الإسلامية ، لهذا فقد نظر إلى : واقعة الفتيات المسلمات الثلاث على أنها سابقة خطيرة تنذر بإمكان حدوث ذلك ؛ لهذا وجه (هارتلي) رسالته التحذيرية - المحشوة بالعداء للإسلام والمسلمين - إلى الحكومات الغربية متضمنة ما يلي :

أولاً : محاولة إقـنـاع الحـكــومات الغربية بأن المهاجرين المسلمين قد يتسببون في مشاكل مستقبلية بين الدول الأوربية واسـتـدل فـي محاولته هذه باحتجاج فرنسا على بون بسبب تشجيع الألمان لهجرة العمالة التركية الزائدة.

ثانياً : محاولة إقناع الحكومات الغربية بأن مطالب المسلمين كثيرة ومتعددة ويصعب الوفاء بها وأنها تسير ضد إيقاع وحركة الإنتاج الصناعي الحديث وضد نمط الحياة الغربية. يقول (هارتلي): "وعلى امتداد أوربا يطـلــب المسلمون

أماكن للـصـلاة في مواقع العمل وفي السكن العمالي والعقارات السكنية ، ويطـلــبـون إمدادهم بالأطـعـمة الحلال - الموصوفة في القرآن - في المقاصف والمدارس ، ويطلبون أوقـاتـاً للاحتـفــال بأعيادهم (عيد الفطر وعيد الأضحى) ، ويطلبون الحق في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة. لـيـس مـن الـسـهـل الوفاء بالعديد من هذه المتطلبات. حيث يستلزم الصيام في رمضان الامتناع عن الطعام والشراب من الفجر وحتى الغروب لمدة شهر كامل. ومن شأن هذا الأمر تقليل القدوة الفيزيقية للـعـمـال الذين يقومون بأعمال يدوية. والتغيب عن العمل خلال اليوم من أجل الصلاة أمر لا يتسق بـسـهـولـة مع إيقاع الإنتاج الصناعي الحديث والدفن الإسلامي يتطلب وضع الجثة على جانبها مـتجهة إلى مكة وهذا أمر يصعب تحقيقه في مقابر حضرية مزدحمة ، ومن قائمة مطالب المسلمين في بريطانيا: أن ترتدي بناتهم الزي الإسلامي ، وأن ينفصل الطلاب عن الطالبات في حصص الرياضة وتعليم السباحة ، وإمداد المدارس بالأطعمة الحلال ، وتوفير غرف لـلـصـلاة، والـسـمــاح بفرص لزيارة المساجد في المناسبات والأعياد الإسلامية حتى يحصل الأطفال على تعاليم قرآنية.
هناك حالة من عدم الرضـــا العميق بين المسلمين عن تعليم الجنس في المدارس وخاصة ما يرتبط بالجنسية المثلية، وقد قُدمت اعتراضات مشابهة لذلك إلى مديري المدارس الفرنسية.
إن المجتمعات الأوربية قد تجد من الصعب عليها مقاومة مطالب المسلمين ، وهناك مواقف قد حدثت بالفعل وتخلت فـيهـا المجتمعات الصناعية عن معاييرها الاجتماعية السائدة ، وانقادت لعادات الإسلام ، وهي تجري مخالفة لقيمها ومعتقداتها.
ثالثاً : تحذير الحكومات الغربـيـــة من الآثار البعيدة المدى للدور المتنامي الذي يمكن أن يلعبه المسلمون في الحياة السياسية الـغـربـيـــة خاصة بعد حصولهم على جنسيات البلاد الأوربية ، وحق التصويت في الانتخابات المحلية والعامة. وبناءً عليه يرى (هارتلي): أن ذلك سوف يمكّنهم من تحقيق مطالبهم وأهدافـهـم وخـاصـة مع تصويت باقي المسلمين إلى جانب هذه المطالب. استشهد (هارتلي) هنا بالخطاب الذي أرسله الاتحاد الإسـلامي في فرنسا لمديري المدارس والذي طالب فيه بوضع حد للاختلاط في الفصول المدرسية.
رابعاً: تحذير الحكومات الغربية من تزايد نفوذ الحكومــات الإسلامية عليها استناداً إلى وجود الأقليات الإسلامية فيها ، ومن تسرب الحركات الإســلامية إلى أوربا بسبب جو الحرية السائد في الغرب.

خامساً: تنبيه الحكومات الغربية إلى أنها مهما استجابت لمطالب المسلمين فإنهم سيظلون منفصلين متميزين غير منسجمين مع المجتمع الأوربي ، ولن يكون ولاؤهم لهذا المجتمع مطلقاً .
سادساً: تحذير الحكومات الأوربية من خطورة الرضوخ لمطالب الـمـسـلمين ، وخاصة ما يتعلق منها بوضع المرأة ، واعتبار ذلك تهديداً لقيم المجتمع الغربي وبـذراً للتعصب فيه مع التنديد الضمني المتكرر بموقف الوزير الفرنسي من الفتيات المسلمات الـثــلاث المشار إليهن ، واستغلال تلك الواقعة لإظهار صعوبة تعامل هذه الحكومات مع المسلمين الملتزمين بعقيدتهم.
سابعاً: تحذير الحكومات الغربية من الدور الذي تلعبه المساجد في أوربا ، ومن تنامي هذا الدور وتأثيره على الحياة السياسية في الغرب ، ولفت انتباه هذه الحكومات إلـى خطورة الخطب الدينية التي تُلقى في هذه المساجد ، والدعوة إلى ضرورة فرض الرقابة عليها.
ثامناً: لفت انتباه الحكومات الأوربية إلى النهضة الملحوظة في قطاع التعليم الإســلامي في أوربا ، وفي المدارس الإسلامية الخاصة بالذات ، وما يمكن أن تسببه هذه النـهـضــة من مشاكل لهذه الحكومات تتعلق بالمعونات الحكومية ، وخرق لقيم المجتمع ، والتأثير على تكامله خاصة مع نجاح قادة المسلمين في تطويع البناء الإداري القائم وتوجيهه لـصـالـح وخدمة معتقداتهم.
تاسعاً: تذكير الحكومات الغربية بآثار قضية (سلمان رشدي) على بريطانيا ، وتنبيه هذه الحكومات إلى أن القضية لا تخص بريطانيا وحدها بل إن جميع البلدان الأوربية سوف تـعـانــي من المشاكل الناجمة عن وجود أقليات مسلمة فيها ، وأن الحل الذي أمام هذه الحكومـــــات هو إجبار المسلمين على الخضوع للقانون شاؤوا أم أبوا بغض النظر عن أمر المساس بعقيدتهم مع التأكيد على عدم إعطاء وضع خاص للإسلام يجعله فوق النقد بحيث يفرض نفسه على المجتمع الغربي.
عاشراً: التشديد على ضرورة مواجهة النهوض والتوسع الإسلامي في أوربا ، وقطع الطريق أمام الحكومات الغربية - التي استعمرت وأذلت العالم الإسلامي مدة طويلة - في التفكير في التسامح مع المسلمين في دولها وفقاً لنفس المبدأ الذي تتعامل به مع اليهود (وهو التكفير عن ذنب ما يُعرف باضطهاد اليهود).
لو ضممنا هـــذه الرسـالــة العدائية (لأنتوني هارتلي) إلى ما يجري للمسلمين في البوسنة والهرسك كمحاولة لاستـئـصال الوجود الإسلامي من قلب أوربا لأدركنا معنى قوله - عز وجل - : ((وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا)) [البقرة:217] ، إنه - كما يقول الشهيد (سيد قطب) - "تقرير صادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث عـلـى الـشـــر وعـلـى فـتـنـة المسلمين عن دينهم بوصفهم الهدف الثابت

المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل ، لأن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم ، وهو من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل ويرهبه كل بـاغ ويـكـرهــــه كل مفسد.. ومن ثم يترصدون لأهله ليفتنوهم عنه ويردوهم كفاراً في صورة من صور الـكـفـــر الكثيرة ذلك لأنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم في الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين وتتبع منهجه وتعيش بنظامه ، وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته ولكن الهدف يظل ثابتاً : أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا ، وكـلـمــــا انكسر في يدهم سلاح انتضوا غيره ، وكلما كانت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها ، والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، ويـنـبـهـهـا إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على الحرب ، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر".

الهوامش :

1- Anthony Hartley,Europe`s Muslims,The National Interest,Winter1990/91,pp.57-66.

البيان الأدبي

إسلامية الأدب .. لماذا وكيف ؟

د.عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة الخامسة :

يثير بعض معارضي مصطلح "الأدب الإسلامي" شبهة "البدعة" في هذا المصطلح، فيقولون: إنه بدعة معاصرة ، لم يقل بها أحد من سلف هذه الأمة ، فهل نحن أحرص على الإسلام من أولئك ؟؟ ونجيب على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : لا ينطبق على مصطلح "الأدب الإســلامي" مـعـنــى "الـبـدعـة" المذمومة التي تأتي مخالفة لما شرع الله ، كما لا ينطبق عليه معنى "البدعة" على عمومه ؛ لأنه - كما ذكرنا في حلقة ماضية - يقوم على تصور ، وهذا التصور موجود منذ نزول الـقـــرآن على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ومنذ أن كان للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولسلف هذه الأمة - رضي الله عنهم - موقفهم الواضح القائم على ذلك التصور الإسلامي للأدب ودوره في حياة الأمة ، وتنحصر الجدة في الأدب الإسلامي في تسمية المصطلح نـفـســه بناءً على منهجية مستمدة-من القرآن والسنة ، وسنبين هذا فيما بعد - إن شاء الله -.

ثانياً: ليس صحيحاً ما يقوله أصحاب هذه الشبهة من أن السلف لم يشيروا إلـى إسلامية الأدب ، بل إنهم أكدوا ذلك في مواقف كثيرة ، وأشاروا إلى ضرورة مراعاة تعاليم الإسلام في الأدب فلم يقروا لشاعر أو أديب الخروج عن تلك التعاليم ، ولم يضعوا مصطلـحاً بهذا الإسم لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى وضع مصطلح إسلامي في ظل خلافة وجهتها العامـــة إسلامية ، ولها مواقفها الواضحة من أصحاب الأدب المنحرف ، تأديباً وإنكاراً.
ثالثاً: لم يكن الانحراف الأدبي في عصور الإسلام الأولى منظَّراً ، أي أنه لم يكن قائماً على "أيـديـولـوجـيـة" لـهـــا فلسفتها ونظامها القائم الذي تدعمه السلطات ، وإنما كان ذلك الانحراف - غالباً - شخصياً ينبثق من انحراف شخصي لأحد الأدباء ثم يكون له أتباعه ومقلدوه ، وكانت الدولة الإسلامية ترفض ذلك الانحراف ملاحقة له - وإن لان موقفها منه أحياناً - ولذلك لم يكن الناس بحاجة إلى وضع نظرية أو مصطلح للأدب الإسلامي ، لمواجهة نظرية معارضة ، وإنما كان دورهم مقتصراً على نقد ذلك الانحراف ورفضه وبيان سوئه للناس.
أما الانحراف الفكري والأدبـي فـي الـعـصـور المتأخرة فهو انحراف قائم على منهج ، له أسسه وتصوراته وله رواده ودعاته، بل وله دوله التي تتبناه وتسعى إلى دعمه ونشره (1)، وقد وُضعت له النظريات والمناهج، وكتبت عنه الدراسات المنهجية والبحوث الأكاديمية ؛ فـكـــان لـزامـــاً على المسلمين الملتزمين أن يكون لهم منهجهم المستقل ونظريتهم الأدبية الإسلامية القائمة على التصور الإسلامي ، لأن هذه المنهجية هي التي تستطيع مواجهة الانحراف الأدبي "الممنهج" في عصرنا هذا ، فكان مصطلح الأدب الإسلامي الذي قام على تصور إسلامي كما أشرنا من قبل.
إن البدعة تكون مذمومة مرفوضة عندما تأتي مخالفة لمنهج الإسلام الصحيح خارجة عن إطاره الذي رسـمـــه القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح ومواقفهم ، فهي بهذا المفهوم مرفوضة حتى لو كان فيها زيادة في الطاعة يتوهم أصحابها أنها تقربهم إلى الله أكثر مما ثبت عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أليس هو القائل في شأن من يتنزه عن بعض ما كان يفعله : »ما بـــال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها ، والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده« .
والبدعة بهذا المعنى المرفوض بعيدة كل البعد عن مصطلح الأدب الإسلامي ؛ لأنه يقوم على رؤية إسلامية مؤيدة بالكتاب والسنة ومواقف السلف الصالح في شأن الأدب.
إن هذا المصطلح من باب التجديد في أسلوب المواجهة بما يتلاءم مع حجم القضية المعاصرة ، ولولا هذه النظريات والـمـدارس القائمة على مناهج منحرفة مدعومة باتجاهات رسمية عالمية ، لما احتجنا في هذا العصر إلى

مصطلحات "الفكر الإسلامي" و"الاقتصاد الإسلامي" و"الإعلام الإسلامي" و"الأدب الإســـلامي" ، إذن فإن القضية قائمة على مبدأ الإعداد لمواجهة الانحراف والفساد ، لا بأقوال ارتجالية ، وأفكار مبتدعة كما يظن من يطلقون هذه الشبهة. ولكن بناءً على الرؤية الإسلامية المنبثقة من ديننا العظيم.
فإذا كان - مثلاً - الشاعر الحداثي هو: "الذي يخوض معركة التحرر من القوالب السلفية التي تحاول - بدورها - أن تشله وتعزله عن حركة التاريخ، وعن التغيير، وتبقيه في عقم الثبات - هذه القوالب السلفية في الفكر والحياة معاً تتحول إلى دعائم مشتركة، تـشـــارك بشكل أو آخر في الحيلولة دون تحقيق التحرر الكامل"(2).
أقول إذا كان ذلك هو الشاعر الحداثي - كما صوَّره منظر مذهب "الحداثة" العربي المرتد أدونيس - فإن الأدب الإسلامي يرسم صورة أخرى مشرقة ناصعة للشاعر الإسلامي ، فهو الـشـاعــر الذي يتخذ من التصور الإسلامي قاعدة انطلاقه ويبدع لنا أدباً رائعاً قائماً على عظمة الثبات على المبدأ وليس على الثورية والانحراف.
وإذا كان الشاعر - عند منظري الحداثة - هو "الذي لا ينطلق من فكرة واضحة محددة ، بل من حالة لا يعرفها هو نفسه معرفة دقيقة ، ذلك أنه لا يخضع في تجربته للموضوع أو الفكرة أو الأيديولوجية أو العقل أو المنطق"(3).
فإن الشاعر - عند منظري الأدب الإسلامي - هو الذي ينطلق من فكرة واضحة ومن حالة يعرفها، ومــن رؤيـة إسـلامـيـــة صافية يبدع من خلالها أدباً مؤثراً يرقى بالأمة ولا يهبط بها(4).
إن "مليار" مـسـلــم يعيشون في هـــــذا العالم النكد بأمسّ الحاجة إلى أدب يرقى بنفوسهم وعقولهم ، ويصــد عنهم هجمات الانحراف والضياع التي تشنها نظريات الأدب المنحرف في هذا العصر(5).
لقد حرص الرسول - عليه الصلاة والـســـــلام - منذ نزول الوحي عليه على رسم طريق الكلمة الطيبة ، والكلمة الخبيثة ، ولقد قـــال عن الشاعر المنحرف : »لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه ، خير له من أن يمتلئ شعراً« ، وقال عن الشعر الإسلامي الصافي: »إن من الشعر لحكمة« ، وكانت عائشة - رضي الله عنها - تستدل في كلامها بالشعر الجيد السامي ، وأوصت بتلقينه للناشئة ، وبذلك أوصى معاوية - رضي الله عنه - وثبت عنهم جـمـيعـــاً رفضهم للشعر المنحرف ومعاقبتهم للـشـعـــراء المنحرفين في أحاديث كثيرة وأخبار صحـيحــة ليس هذا مكان سردها ، أفبعد ذلك يدعـــي مُدَّعٍ أن مصطلح "الأدب الإسلامي" بدعة لم يقل بها السلف ؟!

الهوامش :

1 - راجع ما كتبه الأستاذ جمال سلطان في كتابه القيِّم "أدب الردة - قصة الشعر العربي الحديث" : تحت عنوان : تيارات مشبوهة ، ص123 وما بعدها.

2- انظر : زمن الشعر لأدونيس ، ص57.
3 - انظر: مقدمة للشعر العربي لأدونيس ص32 ، وانظر كذلك الكتاب القيِّم بعنوان : "أسلوب جديد في حرب الإسلام" للشيخ جمعان بن عايض الزهراني ، ص33 وما بعدها.
4- انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية للدكتور نجيب الكيلاني ، ص20 وما بعدها.
5- انظر : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد للدكتور عبد الرحمن الباشا ، المقدمة.

شعر

فلنحمل هَمَّ الإسلام

د.محمد بن ظافر الشهري

يـقـولان رِفقاً بجـسـم رقـيـقْ بعـيـنـيك دمعٌ وفي الصدرِ ضِـيـــقْ
وتحـيـاَ أسـيـراً لحـرِّ الأسى وإن كـنـتَ تــبـدو كَـحُـرٍّ طَـلـيــقْ
وقـالا دعِ الـهـم أو بـعـضــه ولم يـعــلـمـا أنـني لا أُطـيـــقْ
فـكـيـف السـبـيـل إلى بسمـةٍ ولـيـس يـقــهــقــهُ صدرٌ خنيقْ؟!
أنضـحـك والهدمُ في البَابِرِي ومن قبلُ في القــدسِ شبَّ الحريقْ؟!
ويَـذبـح "رامـوسُ" إخـوانـنا علــى أرض "مـورو" وما من شـفـيقْ
وفـي مَـقَـديـشـو تُـسال الدِّما ليُـصـنــعَ مـنـهـا لـسَــامَ الـغـبـوقْ
وبـثَّ الـصـلـيـبُ رجـالاتــه برغم الخلافاتِ - عند "الرفيقْ"(1)
وفـي إِرِتِـرْيـا وجــاراتِــهـا ليخـنـقـنــا سَامُ عـنـد المضيقْ(2)
وكـشـمـيـر والـهـنـد لا تسألا عن الهَتْكِ فـيـهـا لشـعـبٍ عتيقْ(3)
فـكـم حُـرة مـزقـوا سِـتـرهـا ووالـدُهــا مـــثـخـنٌ والـشـقـيـــقْ
خـلـيـلـيَّ حـلَّ بإخـوانـنـا مــن الـضـيـم ما لا يسرُّ الصديقْ
أُذيـقـوا مـن الـذلِّ ألـوانَــهُ فـهـل نـتـضاحكُ حـتـى نـذوقْ؟!
وحـتَّام نَـسْـفُـلُ في همِّـنـا وأعـــداؤنـــا همُّـهـم في سموقْ؟!
ونـشـرب مـن قـيء أعـدائنا وإسلامـــنــا فـيــه أحلى رحيـقْ؟
وتـبـقـى هُـتـافـات أبـنـائـنـا تـعـيــش الـنـجوم يعيش الفريــقْ؟
وتـبـقـى وسـائـل إعـلامـنــا لـنـشـر الرذيلة والــزور بـــــوقْ؟
ونـغـمـس فـي الـفـن أولادنـا لِـنُـخـرجَ مـعـشـوقـةً أو عشـيـقْ؟
إذا زُرع الـفـسـقُ فـي نـسْـلـنـا فـهــل نـتـوقـع غــيـر الـعـقـــوقْ
ومَـن كـان عـبـداً لأهـوائـــه سيُهـوَى بـه فـي مـكــان سحيـقْ
عـجـبـتُ لمن سار نحو الهدى كـسَـيْــرِ الفراشات نحو البريقْ!
وإسـلامـنـا فـيـه إعـــزازنـــا وفـيـه تُنالَ جـمـيـــع الحقــوقْ

فـؤاديَ يخـفـقُ مـن حـــبِّـــه فـتـســري مجـبـتُـه فـي العروقْ
فـهـيـا لنُـحـيـي بـه أنـفُـسـاً وإن لم يـشــأ كـلُّ نــذلٍ صفـيـقْ
نـجـادلُ بـالـحـق كـل الـورى ولا نَـرْمِ مَـــن أسـلـمــوا بالـمروقْ
خـلـيـلـيَّ سـيـراً على منهجي عـلـى مـنهـجٍ سلـفـــيٍّ عـــريـــقْ
وكُـفَّـا عـن الـلـــوم ولْـتـحْـمِلا مـعـي الـهَمَّ أو فـاتْرُكـانـي أُفـيقْ

الهوامش :

1- الرفيق : يستخدمها الشيوعيون والبعثيون في الإشارة إلى زملائهم في التنظيم ، وفي البيت إشارة إلى التعاون الشيوعي الأمريكي .
2- باب المندب .
3- عتيق : الكريم من كل شيء ، والخيار من كل شيء .

ملف العدد

المسلمون في الهند دخول الإسلام إلى القارة الهندية

محمود السيد الدغيم

تعتبر شبه القارة الهندية واحدة من بـقـاع العالـم التي استوطنها البشر منذ أقدم العصور ، فما من مؤرخ متوسع بالتاريخ إلا ويذكر الهند، وكـذلـك كـُتـاب طـبـقـات الأمم يَفُتهم ذكر الهـند ، وقد ذكر صاعد الأندلسي (420-462هـ/ 1029-1070م) الأمـم الـثـمـانـي الـتـي عُنيت بالـعلـم فـقـال: "أمـــا الأمة الأولى - وهم الهند - فأمة كثيرة العدد عظيمة القدر ، فخمة الممالك ، قد اعترف لهــا بالحكمة ، وأقرَّ لها بالتدبير في فنون المعرفة جميع الملوك السالفة ، والقرون الخالية (..) ولملوكهم السِّيَر الفاضلة ، والملكات المحمودة ، والسياسات الكاملة ، وأما العلم الإلهي: فـمـنـهـم براهمة ، ومنهم صابئة. فأما البراهمة : فهي فرقة قليلة العدد فيهم شريفة النسب عندهم ، فمنهم من يقول بحدوث العالم ، ومنهم من يقول بأزليته، إلا أنهم مجمعون على إبطال النبوات، وتحريم ذبح الحيوان ، والمنع من إهلاكه وأكل أقواته. والصابئة وهم جمهور الهند ومعظمها - فإنها تقول بأزلية العالم ، الخ (1) .

الطبقات الاجتماعية في الهند:

بعدما انتصر الآريون على سكان الهند امتزجوا بسكانها وفرضوا تقسيم المجتمع في الهند إلى أربع طبقات اجتماعية ومذهـبـيـة حددها "منو مهارشي" في شروح الكتب الهندوسية المقدسة ، وهي :

1 - البراهمة "Brahman": وهم طبقة الكهنة ، ومهمتهم درس أسفار "الفيدا!" المقدسة ، وتدريسها وتلاوتها ، وتقريب القرابين وإدارة الشؤون المالية . وهم فئة متسلطة وتعتبر مقدسة لا تُسأل عما تفعل، ولو اقترفت جميع الجرائم بما فيها القتل؛ لأنها الطبقة العليا في المجتمع. ويعيش البراهمة على ما يجبونه من الهدايا والقرابين والضرائب . وللبرهمي حق في كل شيء بسبب النسب .

2- الأكشتري "Kshatrea": وهـي طـبقــة المـحـاربـيـن، ومهمتها حماية البلاد والعباد ، ويجب عليها الابتعاد عن الشهوات. ويعد البرهمي أبــاً لـلأكشـتـري وإن كــان البرهمي أصغر سناً من الأكشتري .

3- الفيشية "Vaishya": وهــي طـبـقـة الـفـلاحـيـن ، والتجار ، ومهمتها تأمين مستلزمات العيش للكهنة والمحاربين، ويـحـــق لهم أخذ الربـا ، وعليهم تقديم الضرائب للطبقتين السابقتين.

4 - الشودرا "Shudra" : (المنبوذون) وهي الطـبـقـة الـسـفلى التي لم تعترف لها الهندوسية بأية حقوق ، وفرضت عليها واجبات تقديم الخـدمــات للطبقات الأخرى التي تستغل "الشودرا" وتجبرها على تنفيذ أسفل الخدمات ، وسبب انحطاطهم - حسب الزعم الهندوسي -عدم جريان الدم الآري في عروقهم مطلقاً ؛ لأنهم من سـكـــان الهند الأصليين الذين لم يختلطوا بالآريين، وهـم خـطــــر على الدم الآري يجب الابتعاد عنه؛ لذا يُمنع الزواج بين المنبوذين وبقية الطبقات لأن المنبوذ نجس يجب اجتنابه ! .

إن من يتصفح الكتب الهندوسية التي يطلق عليها اسم "شريعة منو مهارشي" - يجد صورة المأساة الإنسانية في تلك النِّحلة الفاسدة التي ورد في نصوصها ما يلي :

"يجب على (الشودري:المنبوذ) أن ينفذ أوامر البراهمة تنفيذاً مـطـلـقاً . وخدمته للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه. ولا يجوز له جمع ثروة زائدة ؛ لأنه يؤذي البراهمة بوقاحته. وتُقطع يد ابن الطبقة الدنيا إذا رفعها على مَن هو أعلى منه ، وتـقـطــع رجله إذا رفسه برجله ، وإذا ناداه باسمه أو باسم طائفته متهكماً يجب أن يدخل في فمه خنجراً محمياً بالنار ، ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وأذنيه إذا أبدى رأياً للبراهمة في أمور أعمالهم ، ومَن يُقِمْ علاقة مع منبوذ تسقط عنه صفة الطبقية ويُنبَذ ، ولو لم تتعدَّ علاقتُهُ : قراءة الكتاب المقدس معه ، أو الركوب في مركبة واحدة ، أو الأكل معه على سفرة واحدة".

هذه صورة عن العدالة الهندوسية ضمن المجتمع الهندوسي ، وهي صورة معبرة عن الظلم ضمن تلك النحلة التي تجور على أبنائها ، لذا لا نجد غرابة

في الأمـــر عـنـدمـــا يجور الهندوس على أبناء المسلمين الذين يخالفونهم في أمور الدين والدنيا .

دخول العرب إلى الهند قبل الإسلام :

جاء في تاريخ الطبري : "ثم إن كسرى وجَّه مع رجل من أهل اليمن يقال له "سفيان بن معد يكرب - ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذي يزن - جيشاً إلى اليمن ؛ فقـتـلـوا من بها من السودان ، واستولوا عليها. فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلـى سرنديب من بلاد الهند - وهي أرض الجوهر - قائداً من قواده في جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة" (2) .
تدل هذه الرواية على أن العرب كانوا في عداد جيش كسرى الذي استولى على سرنديب. وكان مولد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في سنة اثنتين وأربعين من سلطان كسرى أنوشروان. وتسمى تلك السنة بعام الفيل ، وتلك الأخبار تدل دلالة واضحة على معرفة العرب أشياء كثيرة عن الهند وبلادها وشعوبها ونِحلها ، كما تدل النقوش القديمة على العلاقــات التجارية يين أبناء شبه جزيرة العرب والهند ، حيث راجت تجارة البخور والحــريــر والحديد.
وبناءً على ما تقدم لا نستغرب دخول الإسلام إلى الهند منذ فجر الإسلام ومبعث خاتم الأنبياء والمرسلين.

انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية :

نحن نواجه في هذا الزمان أزمة تاريخية ، فعندما نطرح مسألة إسلامية مفيدة تقوم قيامة أعداء الإسلام، ويبدأ الجدل المذموم، وتغيب المناظرة المحمودة، ويطالبنا أذناب الأعداء بتقديم الدليل في كل قضية تنصف الإسلام والمسلمين ، ولكن أذناب الأعداء يسلمون بما يتخرص به المستشرقون والمستغربون من اليهود والنصارى والملاحدة.
إن أعداء الإسلام يتقبلون الدعوى المسيحية التي تقول: إن "القـديـس تومــاس" ذهب إلى الهند، وأسس أول كنيسة نصرانية على ساحل مليبار في سنة 52م، وبقيت تلك الكنيسة حـتـى القرن الخامس الميلادي، وكانت تابعة للكنيسة الفارسـيـة، ووصـــل إلـى هـنـاك النسطوريون (أتباع نسطوريوس القسطنطيني 428م) في القرن التاسع ، وفي القرن الخامس عشر سيطرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية البرتغالية فوحدت كنيسة مليبار ، ثم ارتد المليباريون إلى النسطورية سنة 700 م الخ..
كـان أعـــــداء الإسلام يشككون بكل ما يخص الإسلام من تاريخ وعدالة وازدهار. وهذا ما يدفعنا إلى مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل في سبيل تقديم البرهان الذي يؤدي إلى النتيجة المرجوة.
"إن المسلمين العرب أقاموا في جزيرة سيلان ، وساحل مليبار في القرن السابع. وهذا ما يؤكده (فرانسيس دي Francisday) وكذلك (استرك Struck) .

وذكر المؤرخون : أنه وُجد محفوراً على حجر في مسجد يقع قرب (بيتور) في (كيرله) أن الإسلام ظهر فيها في السنة الخامسة من الهجرة ، ويعللون سبب ظهوره بوصول بعض العرب مبكرين إلى ديار (مليبار) ولا ريب في أن المسلمين يوجدون في الهند من أوائل القرن الأول الهجري ، فسرِّح النظر إلى (راجه سرنديب) الذي أسلم في سنة 40هـ ، ثم ارجع البصر إلى (راجه مليبار) فهو كذلك "(3).

وبالإضافة إلى ما ذكره الدكتور محمد الصديقي نجد قرينة أخرى على دخول الهند في دين الله أيام النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث جاء في مقال للأستاذ محمد أبو الصلاح : "توجد وثائق تاريخية تدل على أن الإسلام قد وصل إلى مليبار في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ويؤكد المؤرخ الباحث "بالا كرشنا بلاي Bala Krishna Pillay" ، بأن محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - قد بعث الرسائل يدعو فيها إلى الإسلام ملوك إفريقية وملك "مليبار Malibar" ويقول إن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك مليبار في عام ستمائة وثمانية وعشرين للميلاد" .

وتثبت الحقائق التاريخية أن الإسلام قد انتشر في بلاد "مليبار" في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وأكـبـر دلـيل تاريخي على ذلك تلك النقود الفضية التي نشرتها الأسرة المالكة "باركل" في "كنور" فـي القرن الثامن للميلاد. وهذه الواقعة تفند الرأي القائل بأن الإسلام جاء إلى مليبار بعد القرن الثاني لوفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- . وعرضت النقود التي تحمل اسم الملك (مـلـك أركل) في المعرض الثقافي الذي أقيم في مَدْراس عام 1934م.

وتحتفظ هذه الأسرة بتراثـها القديم وتحافظ على مجدها الغابر منذ القرون. وأصبحت هذه الوثائق التاريخية المنكشفة في قصر "أركل" من نقود ومخطوطات ومنحوتات ورسائل وغيرها أبهى الحجج التاريخـيـة لتـفـنـيـد رأي صاحب "تحفة المجاهدين" بأن الدعوة الإسلامية قد ابتدأت في "مليبار" في القرن العاشر للميلاد.

ومن المحزن أن كثيراً من الكتب التاريخية التي أُلفت بعده تقلد الرجل وتنقل رأيه هذا بدون تمحيص وتحقيق. مع أن المؤرخ المشهور ابن عـــرب شاه (1476م) والمؤرخ العربي المعروف فخر الدين (1272م) قد صرحا بأن الإسلام بدأ ينتشر في سواحل الهند الغربية في زمن النبي - عليه الصلاة والسلام - * وجاءت وثائق "أركل" مؤيدة لرأي هذين المؤرخين (1).

بناءً على ما تقدم نرى أن من واجب المؤرخـيــن الـمـسـلمين البحث الدؤوب عن العلاقات الإسلامية الهندية أثناء القرن الأول الهجري ، والكشف عن أسـرار الوثائق والمحفوظات المحفوظة في المكتبات الهندية ، والاطلاع على النقوش والنقــود ، وذلك في سبيل توثيق التاريخ .

لئن تباينت الآراء حول تحديد ابتداء انتشار الدين الإسلامي في الهند ، فإن قضية الفتح لم يتم الإجماع على تحديد موعدها بعد . فالبلاذري يقول : "ولـى عـمـر بن الخطاب - رضي الله عنه - عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعُمان سنة 15هـ ، فوجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين ، ومضى إلى عُمان فأقطع جيشاً إلى "تانه" - التي تقع على ساحل بحر العرب في الهند إلى الشمال من مدينة بومباي مسافة 15 كم2 - فلما رجع الجيش كتب إلى عمر - رضي الله عنه - يُعلمه ذلك ، فكتب إليه عمر - رضي الله عنه - يا أخا ثقيف : حملت دوداً على عود ، وإني أحلف بالله لو أُصيبوا لأخذت من قومك مثلهم. ووجه الحكم إلى بروص "Broach" ووجه أخاه المغيرة إلى "خـــور الديبل" فلقي العدو فظفر به "(5) . "ولما وُلي عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الـخــلافة ، وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق وكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم عـلـمــــه، ويـنـصـــرف إليه بخبره ، فوجه حكيم بن جبلة العبدي ، فلما رجع أوفده إلى عثمان ، فسأله عن حال البلاد ، فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتها ، فقال له : صِفْها لي ، فقال : ماؤها وشل (قليل) ، وثمرها دقل (ردئ) ، ولصها بطل ، إن قلَّ الجيش فيها ضاع ، وإن كثر جاع. فقال له عثمان : أخابر أم ساجع؟ قال : بل خابر . فلم يغزُها" . حتى جاءت سنة 39 هـ أيام خلافة أمير المؤمنين علي بن أي طالب - رضي الله عنه - الذي أذن للحارث بن مرة العبدي بالتوجه إلى الهند ، فتوجه إليها وأصاب غنيمة وسبياً. وفي أيام الخليفة معاوية بن أي سفيان - رضي الله عنهما - جاءت سنة 43 هجرية ، وفيها استعمل مـعـاويـة "عبد الله بن عامر" فاستعمل "عبد الله بن سمرة" على سجستان فأتاها وفتحها عنوة.. واستعمل على ثغر السند عبد الله بن سوار العيدي ، وعاد إلى كابل ، وقد نـكــث أهلها ففتحها(6)، وفي سنة 50 هـ كان الوالي "على البصرة والكوفة والـمـشـــرق، وسجستان وفارس ، والسند والهند (زياد)"(7) وهذه قرينة تاريخية على تبعية تلك المناطق للدولة الإسلامية.

لم تتوقف الجهود الإسلامية الرامية إلى رفع رايات الإسلام في بلاد الهند ، وإنارتها بنور الإسلام ولكن الفتح العام لم يتحقق حتى جاءت "سنة 94هـ/ 715م ، وفيها افتتح محمد بن القاسم الثقفي أرض الهند"(8) .

وروى الطبري بسنده فقال :

"قال عمر: قال علي : وأخبرنا أبو عاصم الزيادي من الهلواث الكلبي ، قال : كنا بالهند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً ، وجاءنا كتاب من الحجاج : أن اخلعوا سليمان ، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان : أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأم لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا"(9).

يقال : إن سبب تسيير تلك الغزوة هو: "أنه كان في سيلان - جزيرة الياقوت - نسوة من العرب المسلمين مات عنهن آباؤهن ، فأراد ملك الجزيرة أن يجامل الحجاج بن يوسف الثقفي ويرسل له هؤلاء النسوة تقرباً منه ، فأركبهن سفينة ووجهها إلى بلاد العرب ، فتعرض للسفينة قوم من قراصنة (ميد الديبل) وأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن - وكانت من بني يربوع - : يا حجاج أغثنا !! وبلغ الحجاج ذلك فصاح : لبيك . وأرسل إلى (داهر) يسأله تسريح النسوة ، فقال : إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم ، فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة الملك (داهر)"(10) ، ويقال إن محمد بن القاسم - رحمه الله - فتح الديبل وحرر المسلمات وأرسلهن إلى واسط االعراق ، كما أرسل القراصنة إلى الحجاج فنفذ فيهم الحكم العادل. وكان ذلك أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وبقي محمد بن القاسم هناك حتى سنة 95هـ حيث توفي الخليفة الوليد ، وخلفه سليمان بن عبد الملك فعزل محمد بن القاسم الثقفي ، وولى مكانه يزيد بن أبي كبشة ، واستمرت السند في التبعية للدولة الإسلامية الأموية حتى آخر أيامها ، وبدأت الخلافة العباسية ، وأول خلفائها عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، الملقب بالسفاح ، ومع انتقال الخلافة إلى العباسيين أصبحت السند تابعة لهم ، فتولاها منصور بن جهور ، ثم موسى بن كعب بن عُيينة التميمي الذي سيطر على كشمير والملتان ، وبدأت السيطرة الإسلامية بالمد والجزر أيام العباسيين حتى حكم الهند "محمود بن سبكتكين" المشهور بمحمود الغزنوي (387-421هـ/997-1030م) الذي أسس دولة إسلامية هندية استمرت حتى قضى عليها العدوان الإنكليزي سنة (1274هـ/1857م) ، وهدموا ما بناه محمود الغزنوي ، وخلعوا أبواب تُربته في أفغانستان سنة 1838م ونقلوها إلى الهند ، ومنها إلى بريطانيا العظمى آنذاك (11) .

ومن الدول الإسلامية التي قامت في الهند : الدولة الغورية (588-602هـ/ 1182-1206م) وتلتها دولة المماليك التي حكمت حتى سنة (689هـ / 1290م) وتلـتـهـا السلطنة الخلجية فاستمرت حتى سنة (720هـ/1321م) ، ثـم جاءت السلطنة التغلقية سـنـة فحكمت الهند كامـلـة ، وأعادت ارتباطـهـا بالخلافة العباسية في القاهرة ، وأقام السلـطـان محمد تغلق (725-752هـ) عـلاقات علمية مع الشيخ عـبـد العزيز الأردبيلي تلميذ شـيـخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - واستمرت تلك السلطنة حتـى غـزا تيمور لنك مديـنـة دهلي سنة 801هـ مما أدى إلى تفكك الدولة الإسلامية ، ثم انتهى حـكـم السلـطـنة التغـلقـيـة بموت السطان محمود سنة (815هـ /1412م) ثم قام حكم السادات من سنة (815هـ / 1414م) حتى سنة (855هـ/1451م) وأعقبتها أسرة "لودي" في سلطنة دهلي، فاستمر حكمها حتى سنة (932هـ / 1525م) ، ثم جاءت الدولة المغولية التي أسسها "بابر" ، واستمـرت حـتى

اعـتُـقل "واجد علي شاه" في كلكتا سنة (1273هـ/1856م) من قِبل الإنكليزي "دلهـوزي"؛ فقامت ثورة المسلمين سنة(1274هـ/1857م) ضد الإنكليز، لكن الإنكليز استعانوا بالهندوس على المسـلمين ، ومنذ ذلك التاريخ - وحتى الآن - يستمر تنفيذ المخطط الإنكليزي الرامي إلى تصفية الوجود الإسلامي في شبه القارة الهندية ، وسائر بلاد المشرق بأيدي الهندوس، وبلاد أوربـــا الشرقية كافة بأيدي الصرب والكروات ، وطُعن قلب العالم الإسلامي في بيت المقدس بالخنجر الصهيوني الذي صنعه وعد بلفور!!

الهوامش :

1- انظر : طبقات الأمم ، ص50-54.
2 - تاريخ الطبري ، 2/153.
3- انظر : ثقافة الهند ، عدد كانون الثاني /يناير عام 1960 ، ص114-115 ، ومقال الدكتور محمد أحمد الصديقي .
* لا يوجد في كتب السيرة المعروفة ما يؤيد هذه المراسلة إلى ملك مليبار - البيان -
4- انظر : مجلة ثقافة الهند ، عدد نيسان /أبريل سنة 1960 ، ص200 وما بعدها.
5- انظر : فتوح البلدان ، ص438.
6- انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ، حوادث سنة 43هـ .
7- انظر : تاريخ الطبري ، 5/241.
8- انظر : تاريخ الطبري ، 6/483.
9- انظر : تاريخ الطبري ، 6/499.
10- نقلاً عن تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر ، ص73.
11- انظر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص80-93.

مسلمو الهند .. الجرح النازف

د.علي عبد الرحمن عواض

ما أشبه "الأمس الهـندي" باليوم "البوسني" . وما أشبه هذا وذاك "بأمس ويوم ومستقبل" فِلسطين المغتصبة وما أشبه الجميع بالأندلس ! .
وما أشبه البابري بالأقـصى والهند بفلسطين.. والمسلم هنا بالمسلم هناك !! ؛ ففي البلدين قاد الصحابة الكرام والتابعـون طلائع الفتوحات.. وفي البلدين أثمرت حكمة الإسلام دولاً حكمت مئات السنين ، عاش فيها المسلم كريماً مرفوع الرأس وعاش غير المسلم مصان الحق محفوظ الأمن .
وفي كلا البلدين دخل المستعمر الأوربي - وبالتحديد الإنجليزي - وعاث فيهما الفساد . وأخرج منهما بتضحيات الـمـسـلـمـين وجهاد الصادقين ولكن بعد أن

أذل أهل الحق وسلم الزمام لغيرهم ورفع مكانة الظالم الذي لا يرعى للمسلم ذمة.. وهذا شأنهم.
إن اليهودي الحاقد في فلسطين يقـتـل الأطـفـال والنساء ويسحق الشبان ويبعد الشيوخ عن أرضهم ويدَّعي ملكية مقدساتهم.. والهندوس لا يمكـن وصفهم بأقل من ذلك ، هذا إذا لم نضفْ إلى حقد اليهودي الماكر فجور الهندوسي الكافر الذي لا يرضى بأن تُذبح في بلاده بقرة .. بينما نجد أن السكين تهدر دماء الأطفال والشيوخ دون أن يبالي ..
إن جهاد المسلمين في الهند قديم ومشرِّف، عمره عمر الإسلام نفسه ؛ فقد بدأ ضد طواغيت البراهمة الهندوس الذين كانوا يسـتـعـبـدون الـنـاس ويتحكمون في مصائرهم ثم الأوربيين الطامعين في خيرات الشرق والذين توالت حملاتهم على بلاد الهند متسترين بغطاء التبادل التجاري ، الأمر الذي لم يدم طويلاً حتى كشف عن حقيقة النوايا الاستعمارية والأهداف الاستغلالية ، فتصدى لهم المسلمون الذين قاوموا التغلغل الأوربي المتمثل بالشركة الهندية الشرقية الهولندية التي يعتبر نشاطها إرهاصات التراجع الإسلامي في تلك البقاع في القرن السادس عشر بعد أن أقام فيها المسلمون المغول دولتهم لمئات السنين.
وجاء بعدها الاستعمار البريطاني الذي دام سـنـوات عـديــدة كان "مسك ختامه" أن قسَّم الهند وسحب السلطة من المسلمين ليسلمها إلى الهندوس الذين لم يراعوا في المسلمين إلاًّ ولا ذمة ، ومزق المجموعات الإسلامية ضمن ولايات ابتكرت لـيـكـون الـمسلمون فيها أقليات محرومة من أدنى حقوق الإنسان ، كما ألحقت ولايات وممالك إسلامـيـة مـسـتـقـلة بدول أخرى ذات غالبية هندوسية أو بوذية كحال كشمير المسلمة التي ألحقت بالهند ، وأرَكَان الـتي ألحقـت ببورما ، ومملكة مورو التي ألحقت بالفلبين ، هذا إلى جانب العمل عـلـى تدمير ميراث الـمـسـلـمـيـن الذين ساهموا في صنع أنصع صفحات تاريخ الهند عبر مئات السنين.

المسلمون وحصاد التقسيم :

ما إن انطلقت صرخات التكبير والـتهـليل معلنة قيام أكبر دولة للمسلمين (في وقتها) تضم مسلمي الهند الذين عانوا مـن ظـلـم الاستعمـار الأوربي في بلادهم ، حتى بردت الوجوه وتحولت دمعة الفرح إلى دموع أسى وحزن وتحول الاحتفال بولادة دولة إسلامية إلى وجوم رافقه خوف من مستقبل يتوقع له أن يكون مليئاً بالمصائب والمآسي والظلم.
عرف مسلمو الهند من اللحظات الأولى أن مأساتهم لم تنتهِ بإعلان دولة باكستان - بشقيها الشرقي والذي أصبح "بنغلاديش" فـيـمـا بعد - والغربي - والذي حمل اسم باكستان ولا زال - فالهند التي حكمها الإسلام مـئــات السـنـيـن وأقام فيها دولاً هي مادة الصفحات البيضاء - ربما تكون الوحيدة -

في تاريخ الهند الـمـكـتـوب. فـقـد وجد المسلمون أنفسهم مقسومين إلى كتلتين بشريتين كبيرتين في باكستان الشرقية والغربـيــة تفـصل بينهما مئات الكيلو مترات مما ساعد على توسيع الشرخ داخل الأمة الهندية الإسلامـيـة. إلـى جانب ذلك بقيت الملايين العديدة من المسلمين المشتتين على شكل أقليات أو أكثريات في بـعــض الـولايـات ضـمـن الاتحاد الهندي ، وتاريخ هذه الأقليات هو سجل حي ومكرر لما تعانيه الأقليات الإسلامـيـة فـي مجتمـعات الكفر بالمقارنة بما تلاقيه الأقليات غير الإسلامية من ضمانات وحماية ضمن دول الغالبية الإسلامية أو تحت حكم إسلامي.

فمع الإعلان في 14 من أغسطس عـام 1947 عن قيام دولة جديدة للمسلمين على الخارطة السياسية العالمية بدأت الأخبار تتوالـى من الهند ناقلة أخبار مَن تبقَّى من المسلمين داخل الهند ، إذ شنت الأغلبية الهندوسـيـة على مسلمي البلاد حملة همجية فرسخت بالدماء والأشلاء صورة الحقد والكفر الذي يكـنُّــه عـبـاد البقر لعباد الرحمن بتوجيه ورعاية من "المستعمر" الأوربي الذي عمل جاهداً ولسنوات عديدة - على تشويه صورة تاريخ الحكم الإسلامي للهند ، وغدت سيرة الإسلام في الهند مليئة "بالظلم والقهر والاستبداد (00) الذي فرض الإسلام فرضاً على السكان الأصلـيـيـن للـبــلاد". هذه الأفكار - الأوهام التي شحنت بها نفوس الهندوس مرفقة بالجهل والأمية التي كانت - ولا زالت - تعم البلاد والتي أثمرت مجازر لا يقبلها إنسان ولا يتصور وقـوعـهــا بعد سنوات الإسلام الطوال في بلاد الهند.

قامت المنظمات الهتدية وبشكل واسع جداً بحملة تصفيات جسدية للمسلمين المنتشرين في الولايات الهندية يرافق ذلك نهب ممتلكاتهم وحرق بيوتهم إلـى جـانـب قـتـل الـرجـال والأطفال والاعتداء على أعراض النساء واستعبادهن. المجازر التي ارتُكبت وصلت بشاعتها إلى حد الاعتراف بها من قبل الهندوس أنفسهم في كتابات بعض عقلائهم الذين وصفوها "بالحيوانية والاضطراب العقلي" ، كما أن الغربيين - الذين كانوا لا يزالون في البلاد نقلوا - صوراً صادقة للأحداث ولعل اصدقها ما نشرته جريدة "تايمز" اللندنية في 25 من أغسطس عام 1947م :

"آلاف المرات أكثر مما شاهدناه في الحرب" هو تعليق كبار الضباط الإنكليز والهنود حول مــا يـحــدث في شرق البنجاب من مجازر السيخ في طريق الحرب . إنهم (ينظفون) شرق البنجاب من أي أثر للإسلام .. يذبحون المئات يومياً مجبِرين مئات الآلاف على الهرب بأرواحهم إلى مناطق أخرى.. حتى أنهم في جنونهم يحرقون أحياناً أتباعاً لهم. هذا العنف المنظم صـــادر فـقـط عن هيئات عليا وليست انفعالات وعصبيات الجمهور وينفذ بإشراف قادتهم . بعض المدن الكبرى مثل أمريستار وجولاهدور هادئة بعض الشيء الآن ؛ لأنه

لم يعش فيها أي مسلم . الجثث في كل مكان ، التشويه والتمثيل بالأجسام واضح جداً.. لم يوقروا أحداً: الرجال ، النساء.. والأطفال" .
كتب الماريشال (Auchinleck) القائد الميداني للقوات البريطانية في الهند - في رسالة وجهها إلى رئيس وزراء بريـطـانـيـا - : "لا يستطيع المسلم أن يتحرك أو يتجول في أية منطقة أو ولاية من ولايات الهند دون أن يخشى على حياته (1). حتى أن اللورد مونباتن (Mountbatten) - الشهير بصداقته للهنود وعدائه للمسلمين - كتب معترفاً : "مع أن الأحداث كانت معدودة في كراتشي فـإن دلـهـي شـهـدت إبـادة كـامـلــة لـلـمـسـلـمـين فيها" !(2).

الأمم المتحدة والأمة المنكوبة :

الاضـطــرابـــات التي عمت البلاد وذهب ضحيتها - بالغالب - مسلمو البلاد استلزمت استنفاراً شعبياً لــدى مسلمي باكستان شاركه استنفار سياسي لدى حكومة الباكستان التي حركت ديبلوماسيتها متمثلة بالشكاوى إلى الأمم المتحدة والتي أرسلت لجنة تقصي حقائق ورد في تقريرها التالي :
"الآلاف بل مـئـات الآلاف (بدلاً من استخدام كلمة "الملايين") قد لاقوا حتفهم كنتيجة للصراع الداخلي والاعتداءات والتصفيات الجسدية والنهب والتشريد ساهم فيها البوليس والجيش لسبب واحد هو الاختلاف في الدين" ! (3).
حاولت باكستان جاهدة أن تحصل من الأمم المتحدة على موافقة لإجراء تقصي حقيقة ما يجري داخل الهند ولكن معارضة الهند للأمر حالت دون ذلك. وماتت على أبواب الأمم المتحدة سنة 1948 حقوق المسلمين ، كما هو الحال مع المسلمين والأمم المتحدة عام 1993 ، فمع أن الظلم وفقدان العدالة هي سمة المعاملة التي يعاملها المسلمون في الهند فإن كشمير أوضح مثال على أن قرارات الأمم المتحدة لا تصبح سارية إلا إذا كانت تتعارض ومصالح المسلمين.
يختصر أول رئـيـس وزراء للباكستان لياقت علي خان الوضع في البلاد خلال تلك الفترة فيقول :
"القيم الإنسانية التي حُكمت بها الهند لعصور عديدة ماتت مع وصول هؤلاء اللا إنسانيين للتحكم بمصير الـنــاس فـي الهـنــد. القيم التي بنيت على العدالة والسلام لمئات السنين استبدلت بالحقد والظلم. ملايين من الـرجـــال والنساء والأطفال يقضون حياة من الإهانة والنواح. المستقبل لا يعني لجزء كبير منهم إلا الــدمــاء والخوف. عندما تشرق الشمس لا يعرفون كيف سيكون الحال مع غياب شمس ذلك اليوم وعندما تغرب لا يعرفون إذا كانت ستطلع عليهم وهم أحياء.. وهل سيعيشون يوماً آخر. فـي هـذا الواقع من الرعب والخوف فقد الناس كل شيء.. فقدوا فوق كل شيء التوازن الذاتي والإحساس بالكرامة.."(4).

هدم "البابري" وهدم القيم :

لا يحتاج الظالم دائماً لمبرر كي يغطي به ظلمه وعدوانه. فمع أن الهندوس لم يستطيعوا أن يقدموا إثباتاً واحداً على أن مسجد البابري هو الموقع الذي وُلد فيه "الإله رام" إلا أنهم - وأمام كاميرات العالم ونواح المسلمين - قاموا بهدم معلم من أهم معالم الحضارة الإسلامية في الهند ، ضاربين بعرض الحائط كرامة المسلمين غير آبهين للـقـيـم أو القوانين والشرائع الدولية. ولعل رحلة في تاريخ المسجد - الضحية - توضح أهمية المسجد وصراع المسلمين واستماتتهم في الدفاع عنه ؛ لأنها لم تكن معركة لمنع هدم حيطان وحجارة المبنى ولكنها محاولة للإبقاء على الوجود الإسلامي في الهند الذي يُتهدَّد يوماً بعد يوم :

- 1528-1529م بُني المسجد على أيدي مير باقي من سلالة البابري . لم يأتِ ذكر لمولد "إله" في موقع المسجد في أي من المراجع أو الوثائق حتى العام 1875م حـيـث بدأت فتنة الإنكليز الجديدة في الهند.
- 1875م احتلت مجموعة من الهندوس جزءاً من المسجد وأقامت فيه الشعائر الهندوسية ، وفي نفس الوقت رفضت محكمة في الهند برئاسة قاضٍ بريطاني حق الهنـدوس في إقامة معبد مكان المسجد.
- 1934م هاجم الهندوس المسجد وهدموا إحدى قبابه ومدخله الرئيسي.
- 1949م أدخل الهندوس أصناماً "للإله رام" وأعلنوا استعادة المكان من الـمسلمين وبدؤوا يشاركونهم في استخدام المسجد.
- 1950م حاول المسلمون استعادة ملكيته واستخدامه عن طريق المحكمة.
- 1985م هددت المنظمات الهندوسية أنه إذا لم يُسمح ببناء المعبد حتى تاريخ 8 من آذار (مارس) 1986 فسوف يُبنى بالقوة بعد احتلاله.
- 1986م قررت المحكمة الهندية فتح باب دائم للهندوس إلى المسجد للتعبد فيه ؛ لأن "إغلاق المسجد في وجه الهندوس يحرمهم من حق حرية العبادة" ! .
- 1989م قررت المحكمة إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه.
- 1989م نوفمبر بدأ الهندوس حملة لجمع مبلغ 250 مليون روبـيـة لوضـع حجر أساس للمعبد في أيوديا.
- 1991م صــادرت الحـكـومـة الهندية 2077 هكتار من الوقف المحيط بالمسجد (7 من أكتوبر).
- 1991م (25 من أكتوبر) أصدرت المحكمة قراراً بعدم البناء على الأرض المتنازع عليها والمحيطة بالمسجد..
- 1992م (19 من مايو) البدء بحفريات حول المسجد كأساس لبناء حائط المعبد.
- 1992م (13 من يونيو) قرار المحكمة بوقف الحفريات.

أما اللحظات الأخيرة من عمر المسجد فهي كالتالي :

- 1992م (23 من يوليو) توصل إلى اتفاق مع رجال الدين الهندوس "لحل المشكلة سلمياً" .
- 1992م (23 من نوفمبر) وصول 15000 جندي لحماية المسجد.
- 1992م (2 من ديسمبر) 100000 من المتطرفين يحشدون جهودهم في أيوديا.
- 1992م (3 من ديسمبر) وصول "القطط السوداء" - وهم نواة الجيش الهندي - لحماية المسجد.
- 1992م (6 من ديسمبر) تدمير المسجد تدميراً كاملاً .
- 1992م (6 من ديسمبر) الوعد بإعادة بناء المسجد.
- 1992م (12 من ديسمبر) مشروع حكومي يقترح بناء المسجد ، ومعبد في نفس المكان ! .
- 1993م (مارس وأبريل) : بناء المعبد الهندوسي وإغلاق ملف المسجد.

بعد هدم المسجد مباشرة قامت الحكومة الهندية بحظر ثلاثة أحزاب هندوسية متطرفة هي منظمة الخدمة الهندوسية ، والمنظمة الهندوسية العالمية ، وجيش باجرانغ على أساس أنها أحزاب متطرفة ساهمت أو سببت هدم المسجد والتحريض على حملة العنف التي عمت البلاد بعد ذلك وليس في هذا الأمر غرابة .. ولكن الغرابة وأبعاد المأساة تتضح عندما أعلنت الهند في اليوم نفسه عن حظر وحل حزبين إسلاميين هما : الجماعة الإسلامية في الهند ومنظمة الخدمة الإسلامية ! .

منظمة الخدمة الإسلامية :

هي منظمة صغيرة وليس لها التأثير الكبير على مسلمي البلاد وصناع القرار بينهم. ولكن حظر تنظيم الجماعة الإسلامية في الهند من قبل الحكومة الهندية يجعل من المسلمين كالأيتام على مائدة اللئام في السياسة الهندية . فبهذا القرار سُحب من المسلمين الإطار المنظم لأي تحرك سياسي ، ثقافي ، اجتماعي أو تربوي.

ولهذا القرار ، وهدم المسجد ، كان رد الفعل الدولي التالي :

- عينت "إسرائيل" إفرايم دويك سفيراً لها في نيودلهي واستلم زمام السفارة بعد أيام قليلة كما عينت الهند "ب.ك. سنغ" سفيراً لها في "إسرائيل".
- وافقت روسيا على تزويد الهند بقطع غيار طائرات ميغ 21 مع البدء بمشروع بقيمة 466 مليون دولار لتطوير طائرة ميغ 29 بين الهند وروسيا.

ورحم الله أياماً كان فيها للدول الإسلامية "رد فعل" يرد إلى أهل الحق حقهم وإلى الأمة اعتبارها.

الآن.. وغداً :

لعل أجمل - وقـد يـكون من أصدق - ما كُتب عن مأساة مسلمي الهند ما كتبه "ظفر الدين خان" بعنوان "مكانان للـمـسـلـم في الهند : باكستان...أو

المقابر" ! (5). ولعل هذا العنوان يختصر حكاية مسلمي الهند وتوقعات المستقبل.
مأساة كشمير بدأت تأخذ مكانـهـــا في ضمير الأمة وأصبحت كلمة كشمير تثير الإحساس بخطورة الموقف.
آســـــام التي شهدت عام 1983م "مجزرة الأطفال" التي راح ضحيتها 3500 طفل مسلم خُطفوا من بيوتهم وجُزِّروا في ساحة واحدة في صعيد واحد.
هدم البابري لم يكن هدماً للبنيان فقط. ؛ فقد رافقه ولحق به تشريد مئات الآلاف (البعض يقول 600 ألف) مـن المـسـلـمـيـن من مناطقهم بعد هدم ممتلكاتهم وحرق بيوتهم إلى جانب الضحايا التي وصلت أعدادهـــا إلى 1800 قتيل من المسلمين اعترفت الشرطة الهندية بأن أطلقت النار على بعضهم.
عندما ارتُكبت مجازر الهندوس بحق المسلمين في العقد الخامس من هذا القرن كانت معظم بلاد المسـلـمين تئن تحت نير الاحتلال وسياط الاستعمار ؛ لذا قد نجد لها مبرراً "لصوتها المـخـنــوق" الذي لم يصل آذان الأمة ناهيك عن اذان العالم. أما اليوم - والمجزرة مستمرة والعالم الإسـلامي ممثل بـ 53 سـفـــارة وقنصلية لدول حرة ومستقلة في نيودلهي دون أي اعتراض أو حتى استنكار ! - فهذا مـــا لا نجد له مبرراً.. إلا إذا كان الشرق والغرب قد اتخذا قراراً نهائياً بشأن مسلمى الهند على أن يكون: "مـكـانـان فـقــط للمـسـلـم في الهند.. باكستان.. أو القبر"!.

الهوامش:

1- G.W. Choudhury,Islam and the contmporary world,Indos,Thames Publishers Ltd.,1990,p126.
2- ibid,p125.
3- "United Nations Papers" Publications,3rd October 1947.
4- New York Times,7 April 1950.
5- ظفر الدين خان ، "مكانان للمسلم في الهند : باكستان أو.. المقابر" ، جريدة الحياة 30/12/1992م.

تعريف موجز
عن أهل الحديث في الهند

محمد عبد الهادي العمري

دخل الإسلام الهند في عهد التابعين عـــام 93هـ ، وكان فيمن دخل من التابعين ربيع بن صبيح السعدي البصري ، وحباب بن فـضـالـة ، وإسرائيل بن مـوسى ، حتى قيل للأخير "نزيل الهند" ، كما ذُكر في ميزان الاعتدال

للـذهـبـي ، ووصلـت تعاليم الإسلام عن طريق هؤلاء إلى الهند خالصة ومنزهة عن شوائب الشرك والـبـدع مطلقاً ، ولكن أصابها ما أصاب المناطق الأخرى التي وصل إليها الإسلام من جراء التقليد والجمود الفكري ، فبدأت البدع تزحف رويداً حتي تمت السيطرة لها ، وبلغت ذروتها من حيث لا يتصور أحد حتى صار علم الحديث والسنة يعد من الشذوذ والغرائب في الهند ، وكان هناك بعض العلماء الذين كانوا يعرفون الحق ، ولكن لم تكن عندهم جرأة لإظهار الحق وإرشاد الناس إلى ما يرونه صحيحاً نظراً إلى الأخطار المتوقعة ، ولكن لم يخلُ دور من الأدوار من أهل الحديث ، أو أصحاب هذه الفكرة السلفية ، وإن كان عددهم قليلاً ، ولما ظهر المـحـــدث الدهلوي "شاه ولي الله عبد الرحيم" الذي رأى ما يجــري حوله باسم الإسلام ، والإســـلام بـريء منه ، فعكف على ترويج علوم القرآن والسنة وغـــرس حبهما في قلوب الناس ، ولقي ما لقي من المشاكل والصعوبات على أيدي المعاندين والأعــداء، ولكـنـه لم يترك الحق ، وكتب في رد التقلـيــد الأعمى والجمود الفكري ، وفي فهم الإسلام كتباً كـثـيـرة ، فرحمه الله رحـمـــة واسعة..
ومن هنا تغيرت الحالة وبدأت الحركة في ميادين العلم وتفنيد البدع والخرافات، والجهاد ضـــد غـيـر المسلمين ، وأهل الحديث لهم حظ وافر في تأييد هذه الحركة وتقويتها، وقـــد تبنوها وعملوا لنشرها وبذلوا مساعيهم المشكورة.

مَنْ هم أهل الحديث ؟ :

اسم لحاملي الفـكــرة السلفية الذين يريدون الإسلام على نهج السلف الصالح الذي عرضه القرآن الكريم ، وطبقه النبي -صلى الله عليه وسلم- دون التعصب للشخصيات والعلماء.

تأسيس إدارة الجماعة في الهند :

أُسـسـت جـمـعـيـــة أهــــل الحديث المركزية في الهند في 6 من ذي القعدة 1324هـ الموافق 22/12/1906م على شـكــل منظمة ، وقد ذكرنا آنفاً أنه لم يخلُ دور من الأدوار في الهند من أهل الحديث، ولكن لم يكن لديهم التنظيم أو الهيئة الإدارية بالشكل المطلوب،فأسست هذه المنظمة أولاً باسم "مؤتمر جمعية أهل الحديث" ثم صار اسمها "جمعية أهل الحــديث المـركـزيـــة" وكان رئيسها الأول العلامة المحدث عبد الله غازيفوري ، وسكرتيرها الشيخ محمد ثناء الله الأمرِتْسَرِي، ثم فتحت الفروع في طول الهند وعرضها ، وكان يوجد في كل مدينة تقريباً فرع للجمعية، وقد تجاوز أعضاؤها مئات الآلاف في الهند بفضل الله (تعالى).
بـعد تأسيس هذه المنظمة بدأ دورها البارز في نشر التعاليم الإسلامية ، وإصلاح ما فسد من الـعـقـائد والتصورات ، ودفع الفرق الضالة المنحرفة - خاصة القاديانية والشيعة ومنكري السنة، والمسـيـحـيــة وبعض الـفــرق التي

تتفرع من الهنادك - وكان لدى الجمعية بعض الدعاة والمبلغين المتخصصين لتحقيق هذه الأهداف ، واستمرت هذه السلسلة حتى استقلال الهند ، وبعد تقسيم الهـنـــد تغيرت حالة الجمعية أيضاً . وبدأت التقهقر إلا في السنوات الماضية فقد استيقظ بعض أُولي الهمم العالية وحركوها من جديد ، فبدأت نشاطها ، وشمل ثلاثة أقسام هي:

1- إشاعة علوم السنة عن طريق المدارس الدينية الأهلية:

أ- أما إشاعة علوم القرآن والسنة عن طريق المدارس، والتأليف في التفسير والسيرة والعقائد والسنة ، فقد نال هذا القسم عناية بالغة من علماء أهل السنة "أهل الحديث" حيث تم في تلك الأيام تدوين عدد كبير من الكتب نحو: تفسير القرآن بكلام الرحمن في العربية للشيخ محـمـد ثناء الله الأمرتسري وهذا التفسير صورة حية لتفسير القرآن بالقرآن، والـتـفـسـيـر الثنائي للـشـيـخ الـمذكور في الأردية ، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود للشيخ شمس الحق العظيم آبادي المتوفَّى سنة 1329هـ ، وتحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي للشيخ عبد الرحمن المباركـفـوري ، وفـي الـسـيرة "رحمة العالمين" للشيخ القاضي محمد سليمان المنصور فوري ، ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يـسـبـق لــه مثيل في اللغة الأردية ، وهناك كتب أخرى كثيرة جداً ، وقد ذكرنا هذه على سبيل المثال فقط لا الحصر.

ب - المدارس الإســلامية في الهند : لا شك أن المدارس الإسلامية التي تدرس فيها علوم القرآن والسنة وما يـتـصــــل بهما من المواد الدراسية لها دور بارز في نشر الدعوة في أنحاء الهند ، وتعتبر هذه المدارس حصوناً شامخة لنشر العلوم الإسلامية ، وعدد المدارس التي أُسست على أسس من تعاليم القرآن والسنة كثيرة ، وخدماتها جليلة في مجال نشر السنة وإزالة البدعة ، تبدأ من المدرسة الرحيمية التي أسسها الشيخ عبد الرحيم في عام 1070هـ بدلهي، والتي تولاها العلامة المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، صاحب حجة الله البالغة، وقـد تخـــرج في هذه المدرسة أعلام الفكر والدعوة في الهند ، بل كانت هذه المدرسة منارة العلم والهدى ، ووسيلة الدعوة إلى الكتاب والسنة حينما أهمل الناس علم السنة في الهند.

ومدرسة الـعـالـم الجلـيــل المحدث نذير حسين المحدث المتوفى 1310هـ بدلهي ، وقد تخرج من هذه المدرسة فحول العلماء وأساطين الدعوة السلفية ، فمنهم العلامة شمس الحق صاحب عون المعبود ، والعلامة عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي. والمدرسة الرحمانية التي أسست سنة 1329هـ مــن قــبـل الشيـخـيـن عـبد الرحمن وعطاء الرحمن في دلهي ، وقد تقلد المتخرجون من هذه المدرسة مناصب رفيعة وصـاروا أئمة العلم أيـنـمــا توجهوا ، وليس في المواد الـدراسـيـة فـقــط ، وإنما في نشر الدعوة

السلفية أيضاً، وأغـلـقـت هذه المدرسة بعد استقلال الهند ، وما عرفت الهند مثل هذه المدرسة إلى الآن.
نكتفي بـذكــر تلك المدراس القديمة وننتقل إلى ذكر بعض المدارس المعروفة ، والتي بدأت دورها بعد استقلال الهند :
1 - المدرسة الأحمدية السلفية: التي أقيمت في إقليم بهار ولها دور كبير في تعليم المسلمين وخاصة في هذا الإقليم وشمالي الهند.
2- جامعة دار السلام بعمر آباد: أقيمت في منطقة مدراس ، وحاول المؤسسون منذ البداية تدريس العلوم الشرعية ، والعلوم المعاصرة الضرورية. وحاولت هذه المدرسة منذ البداية أن لا يتخرج الطالب إلا بعد معرفة اللغة الإنكليزية ، بل قرر في المنهج : إن على الطالب أن يحـصـل الدرجات المطلوبة في اللغة الإنكليزية مثلما يحصل في مــواد التفسير والسنة لنيل شهــادة التخرج وكانت المدرسة على طراز المدارس المعاصرة في أسلوب التدريس ، وإسكان الطلبة ورعايتهم ، ولها دور ملموس في خدمة الإسلام والمسلمين خاصة في جنوب الهند.
3- الجامعة السلفية: فُتحت هذه المدرسة من قبل جمعية أهل الحديث في مدينة "بنارس" البلدة المقدسة لدى الهنادك،وكانت تعرف أولاً بدار العلوم، ثم الجامعة السلفية،والمدرسة حـديـثـة الـعـهـد وافـرة الإنـتــاج العلمي والدعوي، وقد تخرج منها عدد كبير من العلماء وحاملي الدعوة السلفية والمخلصين لها،كما قدمت المدرسة مئات من الكتب والمؤلفات على المستويات المختلفة في اللغات العديدة، وما زالت السلسلة مستمرة ولله الحمد.
لقد ذكــرنــا هذه الأسماء الثلاثة كمـثـال فقط لا على سبيل الإحاطة ، وهناك عشرات من المدارس الـسـلـفـيـة على مستويات مختلفـة في الهند ونقول بكل صراحة : إن هذه المدارس الدينية هي في الحقيقة الوسيلة المؤثرة العميقة لنشر الدعوة السلفية والعلوم الإسلامية على نهج السلف الصالح ، والطلاب لا يتخرجون من هذه المدراس إلا وعندهم فكرة واضحة عن الدين، وأذهانهم مفتوحـة لقبول الحق حيثما كان، ولكن مع الأسف الشديد توجد بجانب هذه المدارس بعض الـمـدارس الـدينية الـتى تعمل على تدريب الجيل الجديد وفق التقليد والجمود الفكري، والتعصب المذهبي، والدفاع عن علماء وأئمة المذاهب أكثر من الدفاع عن السنة النبوية ورجالها.

2- رد أفكار الفرق الضالة من المسلمين وغير المسلمين :

تـصـدر مـجــلات وصحف أسبوعية وشهرية عن جمعية أهل الحديث في اللغات المختلفة، وتقدم الصورة الصحيحة للإسلام ، وترد ما يشاع عن الإسـلام والمسلمين من الأفكار المنكرة مـن قـبـل أصـحــاب الفرق الضالة المختلفة ، نحو "جريــدة ترجمان" التي يصدرها مركز الجمعية والتوعية فـي

الـمـعهد التعليمي ، و"المحدث" مـن الجامعة السلفية في الأردية ، و"صوت الأمة" من الجامعة نفسها في العربية ، و"البلاغ" مـن بومباي و"صوت الحق" من الجامعة المحمدية في "هاليـغـاون" قــرب "بومباي" ، وغـيـر ذلك من المجلات والصحف والجرائد، كما كانت تصدر سابقاً مـجــلات عـديـدة مـنـهــا مجلة "أهلِ حديث" الأردية بإشراف العلامة الأمرتسري التي كانت تعتبر سلاحاً قوياً ضد الأفكارِ الهدامة.

3- إصلاح وتزكية المسلمين والتصدي للبدع والخرافات :

كانت التربية الجهادية مستمرة ولكنها تطورت، وأخـــذت قــوة جديدة من الحركة التي أنشأها الشيخ محد إسماعيل الدهلوي المتوفى سنة 1831م ، وزميله الشيخ السيد أحمد - رحمهما الله - حيث بدأ الشيخان حـركـــة الإصـلاح والتزكـيـة أولاً فـي صفوف المسلمين لإصلاح ما فسد من العقائد ، وألف الشيخ كـتـابـــه المعروف "تقوية الإيمـــــان" الذي نال الإعجاب والثناء من العلماء ، ثم خرجا للجهاد ضــد العدوان والاعتداءات مـــن قبل غير المسلمين خاصة "السيخ" ، واستشهد الشيخان في معـركة "بالاكوت" مجاهدين فـي ســبيل الحـــق ومـدافـعين عن السنة النبوية ، ومقاومين ضد الـخـرافـــات والبدع التي أحدثتها الطوائف المنحرفة عن الإسلام..

أما الرد على الفـــرق الضالة فكان لدى جمعية أهل الحديث علماء بارزون ، نكتفي بذكر واحدٍ منهم وهو العـلامـــة الشيخ محمد ثناء الله الأمرتسري الــــذي كان بحراً في العلوم الشرعية، والمناظرات والخطب وتأليف الكتب، ولم يكن له مثال في الهند وباكستان، وقام بجهود جبارة لا نظير لها ، وكان ينوب عن المسلمين في الـــرد علي الفرق الضالة يتصدى لدعاتها في المناظرات حيث لم يكن غيره قـادراً على مواجهة هذه التيارات الهدامة ونظرًا لقوته في العلم والاستدلال كُسرت شوكة الأعـداء وخاصة الـفـرقـة القاديانية التي جاءت عن طريق المدعو "غلام أحمد قادياني المتنبِّئ"، فكان له الشيخ الأمرتـسـري بالمرصاد وذلك بتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات، ودخول المناقشات مع هذا الكذاب، وكان ذلك المدعي يخاف من الشيخ أشد الخوف بل كان يدعو للنجاة منه.

وُلــد الـعـلامـة الشيخ الأمرتسري سنة 1287هـ الموافق 1868م في أمرتسر بإقليم البنجاب، وتلقى العلوم الشـرعـية على يد عدد من العلماء وخدم السنة ودافع عن الحديث النبوي ، وجـاهــد فـي الله حــق جهـــاده حتى توفي في 3 من جُمادَى الأولى سنة 1367هـ الموافق 15/4/1949م ، في "سرغودها" (رحمه الله رحمة واسعة) .

الهند والديموقرطية الضائعة

د.أحمد محمود عجاج
ليس من باب المبالغة القــول إن الـهـنـــد - بما تمثله من تعدد طوائفها ، وتنوع لغاتها ، وتوزع شرائحها الاجتماعية - هي بالفعل حالة فريدة من نوعها قل نظيرها في عالم اليوم. فهذا البلد الذي يتجاوز عدد سكانه الـثـمـانـمــائــة مـلـيــون نسمة انتهج لنفسه النموذج الديموقرطي الغربي واستمر في تطبيقه في خضم اختلافات عـرقـيـة ودينية كان من المفترض أن تؤدي في أسرع وقت إلى تفكيك الهند كبلد متعدد الأديان والأعـــراق. وقد تغنى بعض الكتاب والنقاد بهذه الديموقرطية ولكنها كانت قشرة رقيقة ضعيفة حافـظــت على زخمها قـلـيلاً ، وكانت تخفي تحتها - ومنذ البداية - تعصباً هندوسياً لا يحتمل الـتـعـــدد ولا يحتمل وجود الإسلام بالذات ، ولذلك شهدت الفترة الأخيرة ما لم يكن متوقعاً ، وأبرزت ما لم يكن ممكناً تصوره ، وذلك عندما انطقت كتل بشرية يبلغ تعدادها مائتي ألف نسمة - تركض باتجاه مسجد في بلدة أيوديا الواقعة في شمال الهند وهي تصرخ باسم "الإله رام " رمز الشجاعة والتسامح عـنـــد الهندوس لتبدأ لدى وصولها بهدم جدرانه وسط الأناشيد والتهاليل والهرج والمرج. ويقـــول هؤلاء الهندوس إن المسجد - وهو المسجد البابري - قد بناه الفاتح المغولي بابر على أنـقــاض معبد هندوسي ، وهو المكان ذاته الذي وُلد فيه الإله رام المعظم بدعوى أن بناء المسجد عـلـــى أنقاض المعابد تقليد درج عليه المسلمون الفاتحون آنذاك.

وقصة المسجد ليست جديدة على الإطلاق فقد نجحت جماعة من الهندوس المتشددين في التسلل إلى المسجد في عام 1949م، ووضعت لاحقاً صنماً للإله رام في داخله ، وادعت أن ما قامت به هو استجابة لتدخل مقدس.

وتطـــورت قضية المسجد منذ ذلك الحين بعد أن رفعت دعاوى تطالب بتثبيت ملكيتهم الوحـيدة للمسجد ، ووصلت المشكلة أوجها في عام 1984 ، وذلك عـنـدمـا نظمت مجموعة مـن الهندوس المتشددين مظاهرة تدعو إلى تحرير مكان ولادة الإله رام ولـكـن اغـتـيـــال رئيسـة الوزراء أنديرا غاندي آنذاك وما تبعها من عمليات قمع قامت بها الشرطة حالت دون ذلك.

وجد حزب بهاراتيا جاناتا الهندوســـي الفاشيستي في قضية المسجد فرصة ذهبية لا يمكن تضييعها على الإطلاق في ظل ديمقراطية تسمح له بممارسة التحريض والتزمت وبث الفرقة ، وإثارة النعرات في سبيل الحصول على مكاسب انتخابية تضمن له الوصول إلى السلطة ؛ وإن كان على حساب الأملاك والأرواح والقيم والمثل. وبالفعل ساعدت السياسة النفعية المحضة واللا أخلاقية الحزب الهندوسي الفاشيستي على كسب المزيد من الأصوات ، واستمالة شرائح واسعة من المجتمع الهندوسي مما زاد من شهيته وحضه على تصعيد العداء الديني ، وبث الروح الهندوسية وإحياء الماضي والدعوة إلى إقامة مجتمع هندي خالص ؛ لذا جاء في دليله الخاص على لسان الفيلسوف

"أ. م. غولكار" أن المسلمين في الهند والمسيحيين والشيوعيين يمثلون خطراً أجنبياً على الهند وأن ما هو مطلوب منهم ليس إلا التخلي عن ردائهم الأجنبي المعقد ، ودمج أنفسهم في التيار الوطني المشترك ، وهو بالطبع القومية الهندوسية. وقد ساعدت الحزب الهندوسي عوامل محلية عديدة منها اعتقادات خاطئة ومنتشرة على نطاق واسع في صـفـــوف الهــنـدوس مفادها أن المسلمين يتكاثرون بسرعة فائقة تفوق سرعة تكاثر الهندوس ، وأن الأحــــزاب بمجملها - وعلى رأسها حزب المؤتمر - تحابي المسلمين في سبيل كسب أصواتهم مما يسمح للأقلية - وهم المسلمون - أن تفسد الأغلبية الهندوسية. والأكثر اعتقاداً أن المسلـمـين ناشطون في مجال الدعوة ويقومون عملياً بتغيير معتقدات الطبقات الهندوسية الدنيا وعـلــى رأسـهـا طبقة المنبوذين.
ويعتقد حزب بهاراتيا أنه في سبيل تنفيذ سياسته أو برنامجه الانتخابي كما هو متعارف عليه في النظام الديموقرطي لابد له من الوصول إلى السلطة حتى يتسنى له تغيير الدستور والقوانين التي يمثل وجودها عائقاً أمام تحقيق برنامجه الذي يتضمن فيما يتضمن هدم المسجد البابري ، وتشييد معبد هندوسي على أنقاضه بذريعة أن الأرض للهندوس وأن المكان شهد ولادة الإله رام إله التسامح والمحبة. وهكذا استطاع الحزب ضمان أرضية انتخابية تضمن له نجاحاً بارزاً في أية انتخابات قادمة وبالتالي دخول السلطة من بابها السهل بغض النظر عن الأسلوب طالما أن الغاية تبرر الوسيلة.
لـيـسـت الغرابة في طبيعة حزب بهاراتيا - الذي هو أصلاً لا يعدو عن كونه حزباً فاشياً عضويته مقصورة على الهندوس ، ويقوده زعماء سبق أن كانوا قادة في حزب جان سانغ المتطرف ، والمعادي للإسلام والمسلمين والمنادي بفرض اللغة الهندوسية على جميع سكان الهند ورفــض إعـطــاء تنازلات للأقليات سواء أكانت متعلقة باللغة أو التعليم أو قوانين الأحوال الشخصية - بل الغرابة هي مسارعة بقية الأحزاب العلمانية للتعامل والتنسيق معه في الحملات الانتخابية بغية إخراج حزب المؤتمر من السلطة. حيث لم يتلكأ حزب جانتا دال عن التحالف مع حزب بهاراتيا في عام 1989م التي انتهت بفوز الأخير في 63 مقعداً مما جعله أكبر حزب معارض في البرلمان الهندي ، وبالتالي صار قادراً على إسقاط أية حكومة لا تستجيب إلى بعض مطالبه.
الحقيقة تقال إن نـجــاح حزب بهاراتيا يعود في معظمه إلى فشل التجربة الديموقرطية في الهند بسبب ممارسات خاطئة انتهجها حزب المؤتمر أكبر أحزاب الهند والذي تزعم هو وحزب الرابطة الإسلامية تحرير الهند من بريطانيا مستفيداً من ثورة المسلمين الكبرى على الإنجليز عام 1857م .
وسبب فشل هذا الحزب بالذات ناتج عن عجزه عن متابعة المسار الذي خطه له جواهر لال نهرو والقائم على حفظ التوازنات بين جميع القوى الفاعلة ،

وتنشيط كوادر الحزب والاستجابة لمطالبها على مستوى الولايات ، وضمان تمثيل معتدل لها في السلطة المركزية. فـقــد تحول حزب المؤتمر بعد وفاة جواهر لال نهرو وتولي أنديرا غاندي قيادته إلى حزب عائلي محض يتمحور حول شخصية أنديرا غاندي التي أصبحت هي الحزب والحزب هي ، بمعنى أن برنامجه الانتخالي أصبح محصوراً ومرتبطاً بشخصها بعدما كان في الماضي يعتمد عـلـى الـكـــوادر المحلية في كل ولاية. وهذا التوجه أدى إلى تراجع شعبية الحزب الذي لم يعد قادراً على إنتاج شخصيات مستقلة تستطيع ممارسة سياسة تتعارض مع قائد الحزب طالما هي في النهاية تصب في مصلحة الحزب والمجموع. لم يتراجع هذا النهج بعد وفاة أنديرا غاندي بل تعزز مع وصول ابنها راجيف غاندي الذي قام بتعيين الوزراء في المقاطعات على أساس الولاء الشخصي والمحسوبية الضيقة والمصلحة الآنية وبالتشاور مع دائرة محدودة من المقربين والمنتفعين دون الرجوع إلى آراء الكوادر الحزبية. لم يتردد راجيف غاندي في اتباع أية وسيلة ، وممارسة سياسات ضارة منها : الاستجابة للروح القومية الهندوسية ، وإثارتها في سـبـيـل كـسـب أصوات انتخابية ، وسحب هذه الورقة من الأحزاب الهندوسية المتطرفة. واتضحت تلك السياسة الطائفية ووصلت نتيجتها الحتمية عندما أصدرت إحدى المحاكم المحلية - بإيعاز غير مباشر من حزب المؤتمر - قراراً ينقض حكماً سابقاً بخصوص مسجد البابري - مضى على صدوره 36 عاماً - ويسمح بالتالي للهندوس بممارسة الشعائر الدينية أمام تمثال الإله رام الذي وُضع داخل المسجد في سنة 1949م.

لم تسفر سياسة الاسترضاء عن أية نتيجة إيجابية ســـوى تعزيز قدرة الأحزاب المتطرفة ، وتشجيعها على زيادة مطالبها ، وبالتالي رفع حدة التقـســيم داخل المجتمع الهندي على أساس الوازع الديني ، والإيذان بمرحلة جديدة يقودها التـطـــرف ويُحكم مسارها الحقد والكراهية ؛ لذا لم يتردد زعيم حزب بهاراتيا بالقول : "إن ما حدث في أيوديا كان بداية أساس للوطن الهندي" ! .

إن التجربة التي عاشتها الهند أخيراً تستدعي مــن القادة الهنود الوقوف قليلاً ، والتبصر بحكمة وصبر ورويَّة في أبعاد السياسات التي تنتهـجـهـا الأحزاب الهندوسـيـــــة المتعصبة ووضع خطة جديدة تلائم الواقع الهندي ، وتنسجم أكـثـــر مع شعارات الديموقرطية التي ترفعها ، وتأكيد الحكومة - فعلاً لا قولاً - أنها تعني ما تـقــول حتى تعطي لنـفـسـهـــا المصداقية. وكنا نتمنى أن لا تبدأ سلسلة التراجعات الهندية الرسمـيــة التي بدأت بالوعد من قِبَل رئيس الوزراء ببناء المسجد ثم تحولت إلى بناء مسجد ومعبد في نفس المكان ولكنها انتهت عملياً ببناء المعبد وإقفال ملف المسجد !.

كشمير
أليس لهذا الليل من آخر ؟!
(2)

د.يوسف الصغير

المسلمون والأمم المتحدة :

أصدر مجلس الأمن القرارات الكثيرة التي تدعو إلى إعطاء شعب كشمير حرية الاختيار(1) ووافقت باكستان وكذلك أظهرت الهند موافقتها وادعت أنها ستقوم بإجراء استـفـتاء عند استتباب الأمن، وأن ضمها لكشمير إنما هو ضم مؤقت، ولكن أفعال الهند تناقض أقوالـها، فقد استمرت في تدعيم وجودها في الجزء المحتل من كشمير ، وتم تعيين الشيخ عبد الله في منصب رئيس الوزراء في الولاية من جديد بدعم من صديقه نهرو ، وتم إجراء انتخابات صورية سنة 1952م ؛ حيث جرى لاقـتــراع اثنين فقط من بين 75 مقعداً أما الباقون فقد فازوا بالتزكية من حزب الشيخ عبد الله "الـمؤتمر الوطني لعموم جامو وكشمير" وقام هؤلاء العملاء بإعلان انضمامهم للهند بصورة هزلية، وهنا بدأ الخطاب الهندي يتغير حتى أعلن وزير الداخلية الهندي عام 1965م أن ضم كـشـمـيــر "أمر نهائي وكامل ولا عودة عنه" ؛ فقامت الثورة وقام الجيش الهندي باتخاذ ذلك ذريـعــة للهجوم على باكستان. واشتعلت الحرب الثانية بين الهند وباكستان ، وتمت هزيمة الجـيـش الهـنـدي ، وتدخلت روسيا بالوساطة وعُقد مؤتمر في طشقند تم فيه تحويل انتصار باكستان العـسـكـري إلـى هـزيـمـة ديبلوماسية بتثبيت الأوضاع كما كانت عليه قبل الأحداث الأخيرة ، وبدأت الهند باتباع سياسة جديدة في كشمير قائمة على تقوية مركزها العسكري في الولاية إضافة إلى محاولة طمس الإسلام ، ومن أهم أساليبهم ما يلي :

1 - تغيير المنهج التعليمي في المدارس الحكومية وإيقاف تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف وإدخال اللغة الهندية كلغة إجبارية.
2- نشر الإباحية والفساد الخلقي في المعاهد والكليات والجامعات..
3- محاربة الحجاب والدعوة إلى الاختلاط .
4- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس.
5- منع ذبح البقر .
6- إباحة الخمر .
7- تأسيس دور السينما والملاهي الليلية.
8- منع تعدد الزوجات وتنفيذ برامج تحديد النسل.

9- تشجيع الهندوس على الاستيطان في كشمير في سبيل تغيير تركيبة السكان.
وهـكـذا مــرت السنون ومجلس الأمن يصدر القرارات بينما الهند مستمرة في فرض الأمر الواقع وتـعـرض المسلمين للبطش والتنكيل بصورة دورية ، وإزاء ذلك كانت ردة الفعل - إضافة للانتفاضات المستمرة - بتكوين جمعيات إسلامية تعليمية تربوية تمثل نشاطها في الآتي :
1- إنشاء الـمـدارس والكـلـيــات الإسلامية والتي تخرج منها جيل جديد يحمل عقيدة التوحيد ، ومنها الكلية السلفية في وسط العاصمة التي أقامتها جمعية أهل الحديث عام 1397هـ.
2- نشر الدعوة الإسلامية من خلال الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وإصدار المجلات.
وكان عام 1988م بداية عهد جديد من الجهاد فقد بدأت انتفاضة تحولت في عام 1990م إلى حركة جماهيرية برزت فيها الجماعات الإسلامية .

التنظيمات والأحزاب :

ذكرنا سابقاً أن هناك حزبين رئيسيين أولهما : حزب "المؤتمر الإسلامي" والذي كان يؤيد الانضمام إلى باكستان وكان له دور في تكوين كشمير الحرة التي تمثل ثلث مساحة كشمير الأصلية وترتبط بباكستان مع حـكــم ذاتي وتشكل الآن القاعدة الرئيسية لتدريب وتسليح المجاهدين .
أما الثاني : فهو حزب "المؤتمر الوطني" بقيادة الشيخ عبد الله الملقب بأسد كشمير ، وكان شعار الحزب "اخرجوا من كشمير" ويـبـدو مـن تصرفـات زعيم الحزب أنه يريد أن يكون زعيم كشمير المستقلة ، وإذا لم يحصل ذلك فلا مانع عـنـده مـــن أن يتولـى إدارة كشمير بالتعاون مع الهند أما الأمر المرفوض لديه فهو الانضمام إلى باكستان ولهذا نجد أنه تارة يُظهر العداء لحكم الهندوس ويدخل السجن ولكن عندما يثور المسلمون فإنه يـتـعـاون مع الهندوس ويتولى الحكم باسمهم ولكنهم لا يثقون به ولهذا فإنه يتعرض للسجن والإبعــاد عـنـدمــا تستقر الأمور ثم يخرج من السجن ليتولى رئاسة الحكومة من جديد في الحالات الطارئـة ، وقد حصل هذا عدة مرات ومات الرجل في السبعينيات وهو رئيس للوزاء وقد تجاوز السبعين عاماً ، ولكنه كان حريصاً على إبعاد كشمير عن باكستان ، وقد استغلت الـهـنـد أباه كما حاولت استغلال ابنه فاروق ولكن المجاهدين أمروه بمغادرة كشمير وإلا سيكون مصيره الاغتيال فهرب واستقر في أوربا.
تتنازع الساحة الكشميرية الآن ثلاثة تيارات هي :
أولاً : تيار علماني صغير يدعو للانضمام إلى الهند.
ثانياً : تيار يدعو للاستقلال التام والانفصال عن الهند وباكستان ومن هذا الاتجاه حركة تحرير جـامـو وكـشـمـيـر J.K.L.F. وهي حركة وطنية تهدف إلى

إقامة دولة مستقلة وعلمانية ، وكانت في السابق تنفرد في المقاومة العسكرية للوجود الهندي ، وبالتالي هي التي حظيت بالدعم من باكستان حتى أواخر الثمانينيات حيث خف تأييد باكستان نظراً لظهور الأحزاب الإسلامية على الساحة ، وكما يقول مؤسس الجبهة أمان الله خان : "حين أوجد الباكستانيون بدائل مثل حزب المجاهدين أداروا ظهورهم لنا" ، وفي الفترة الأخيرة قام مقاتلو الجـبهــة بمهاجمة قواعد المجاهدين في المدينة القديمة من سريناغار واستمر القتال عدة أيام ثم ساروا بمظاهرات في الشوارع وهم يصرخون "الموت لباكستان"! وقد وقفت القوات الهندية موقف المتفرج.
ثالثاً : حزب المجاهدين وهو أكبر القوى العسكرية على الساحة وينضوي مع تجمعات إسلامية أخرى في الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير ويدعو الحزب إلى خروج الهنود والانضمام إلى باكستان وقد بدأ نشاط الحزب بقوة منذ عام 1990م، ويحظى بدعم الحركة الإســــلامـيـة في كشمير الحرة وقد استعد الحزب للعمليات عن طريق إرسال الآلاف من الشباب إلى كـشـمـيـر الحرة بالإضافة إلى أعداد كبيرة شاركت في الجهاد في أفغانستان ؛ حيث إن الجهاد الأفغاني هو أكبر عوامل انطلاق الجهاد في كشمير ، حيث إنه إذا كان طرد الروس ممكناً فَـلِـمَ يـكــــون طرد الهندوس مستحيلاً. ومنذ يناير 1990م اشتعلت الانتفاضة في كشمير ونزل مئات الآلاف من المسلمين إلى شوارع العاصمة مطالبين بالحرية فقابلهم الهنود بالرصاص ، وفـي الأشـهـــر التالية اعتقل الآلاف وكانت عمليات القتل والاغتصاب وحرق المنازل والمتاجر من قِبَل قـــوات الهندوس من الأمور الروتينية ، وفر الآلاف من الشباب إلى كشمير الحرة سعياً وراء السلاح والتدريب ، وكما يذكر الأستاذ غلام صفي أمير حزب المجاهدين فإن هناك تنسيقاً تاماً بين الحركة الإسلامية في ولاية جامو وكشمير الحرة وبين الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير حيث إن الاتحاد الإسلامي يقوم بترشيح الشباب المسلم للتدريب العسكـــري بينما تقوم الحركة الإسلامية بتدريبهم عسكرياً ، وتزويدهم بالسلاح ، ويذكر أن حوالي خمسين ألفاً من الشباب وصلوا إلى كشمير الحرة خلال السنتين الماضيتين عابرين الحـــدود سراً عبر الجبال الثلجية وقد استشهد منهم حوالي 3000 وجرح 400 ، وتم تدريب حوالـي 40000 شاب ويوجد هناك مراكز تدريب داخل كشمير.

مراحل الجهاد :

لقد ركز المجاهدون من البداية على محو آثار الاستعمار الهندي فتم إغلاق مراكز الفاحشة والمخدرات ومحلات بيع الخمور والملاهي الليلية، وجميع مراكز الفساد الخلقي ، وعادت النساء إلى ارتداء الحجاب، ثم تواصل الجهاد ضد الجيش الهندي وبلغت خسائر الجيش الـهـنـدي حوالي أحد عشر ألف قتيل، وتمت ملاحقة وتصفية عملاء الهندوس، وســـارع الكثير ممن بقي منهم

إلى إعلان قطع علاقاتهم مع الاستعمار على صفحات الجرائد ، أما تضحيات الـشـعــب الـمـسـلم فبلغت حتى الآن ثلاثين ألف شهيد، وأكثر من تسعين ألف معتقل، وحتى نتصور جهود الهندوس في مواجهة المجاهدين فإن تعداد الجيش الهندي المرابط في كشـمـيـر يزيد على 400 ألف عدا قوات الشرطة والقوات الحدودية ، مع ذلك فإن الحكومة الهندية فشلت في تكوين حكومة في الولاية فهي تجد الحكم المباشر من دلهي ولا يوجد سلطة مدنية في الولاية ، وقد نصحت الاستخبارات الهندية الحكومة أن تنقل الإدارات العسكـريـــة والمراكز التقـنية من الولاية؛ لأن الحركة قد تعدت مرحلة إمكانية التحكم. فالذي يحكم هو الاتحاد الإسـلامي للمـجـاهـديـن ، ففي مدينة بارامولله شمالي سريناغار يقسم نهر جيلوم المدينة نصفين ، فعلى الضفة الجنوبـيـة يوجد البازار الجديد (السوق) والمباني الإدرايةومواقع عسكرية ، أما المدينة الـقـديـمـة على الضفة الشمالية ، فيسيطر عليها المجاهدون ، ولا يدخلها الجيش إلا في حملات تفتيش دورية ، أما ما عدا ذلك فإن قوات الأمن تبقى خارج المنطقة تماماً .

مستقبل الجهاد :

إن ما يجري في كشمير هو حلقة من حلقات الصراع الدامي بين المسلمين والهندوس ، وقد حرص الإنجليز على تسليم السلطة للهندوس ، ولما تبينت استحالة ذلك تم تقسيم الهند إلى قسمين هما هندوستان (الهند) وباكستان ، وخرجت الهند بنصيب الأسد من الجيش والصناعات والموارد ، أما باكستان فقد ولدت ضعيفة مشتتة حيث إنها كانت جزئين : الأول باكستان الغربية والثاني باكستان الشرقية ، وكان هدف الهند منذ البداية تدمير باكستان ؛ فدارت رحى الحرب بينهما عام 1947م وعام 1965م وعام 1971م ؛ حيث تمكنت من تقسيم باكستان إلى جزئين هما باكستان وبنغلاديش وذلك هو أكبر انتصار للهند ، حيث إنه تم استبعاد بنغلاديش من خارطة القوى المؤثرة ، وبقيت باكستان الغربية وحدها تواجه التحدي الهندوسي وخلال الصراع نلاحظ الآتي :

1- أنتج الحكم في باكستان سياسة موالية للغرب ومع ذلك فإنه يتعرض لضغوط شديدة لعرقلة تقدم باكستان في المجال العسكري وخاصة النووي.

2- كانت الهند تدعي عدم الانحياز (الحياد الإيجابي) ؛ فاستفادت من تنافس الغرب والشرق على كسب وُدها ، فأقام الروس صناعات عسكرية متطورة ، وأمدت كندا الهند بالتقنية النووية حتى أتمت بنجاح تفجير قنبلة ذرية في أوائل السبعينات ، وهي تحاول الآن تطوير نظام صواريخ بعيدة المدى ، ومع ذلك لا نسمع الغرب يتحدث عن البرنامج النووي الهندي.

3- كان الغرب ينتهز أية فرصة لتقوية الهند ، فمثلاً قامت أميركا وبريطانيا بتزويد الهند بكميات كبيرة من السلاح أيام أزمة الحدود مع الصين على الرغم من أن هذه الأسلحة استُعملت أساساً ضد باكستان فيما بعد.
4- العلاقات المتميزة بين الهند و"إسرائيل" ، وقد تمكن المجاهدون في كشمير من أسْر مجموعة من عملاء الموساد الإسرائيليين ، كما تم في بيشاور اعـتـقـال ثلاثة من اليهود المغاربة الذين يحملون جوازات فرنسية لقيامهم بنشاط تجسسي.
5- تجاهل الغرب لمأساة المسلمين في كشمير ، أما روسيا فقد استعملت الفيتو في مجلس الأمن لمنع إدانة الهند.
6- تخوف الغرب والشرق من البُعد الإسلامي في الصراع ، فبينما كـانـت أمريكا تتبنـى عملية تسليح وتدريب المجاهدين في أفغانستان ، سارعت أمريكا إلى وضـــع حليفـتـهـا باكستان في قائمة الدول التي ترعى الإرهاب نظراً لوجود المجاهدين العرب في أراضيها ، وتخوفها من انتقالهم إلى كشمير خاصة ، وقد استشهد أحد المجاهدين العرب في إحدى عمليات المجاهدين في عاصمة كشمير .
7- الحرص على عدم إقامة دولة إسلامية في باكستان ، وهذا كان واضحاً في أول يوم ؛ فقد حُكم على أبي الأعلى المودودي - رحمه الله - بالإعدام وسجن مراراً لمطالبته بإقامة الدولة الإسلامية التي بذلت في سبيلها مئات الألوف من الأنفس ، وتتابع على الحكم الإسمـاعيـلـيـة والرافضة. ولا يغيب عنا دعم الغرب القوي لبي نظير بوتو (الرافضية) والظروف الغامضة التي قُتل فيها ضياء الحق.
8- إبراز الهند كقوة إقليمية رئيسية والسماح لها بالتدخل في محيطها مثل تدخلها في سري لانكا وموريشيوس.
ويمكن تصور ثلاثة مواقف محتملة للهند في سبيل حل مشكلة كشمير:
الأول: مـحـــاولة تكوين حكومة مرتبطة بدلهي مع تمتعها بالحكم الذاتي وإشراف دلهي على الأمن والدفاع والخارجية ، ويقابل هذا بالرفض من قِبَل المجاهدين.
الثاني : إلقاء تـبـعة الصراع على باكستان ، وبالتالي التحرش بها ومحاولة غزوها ، وهذا احتمال وارد ولكن نتائجه غير مضمونة نظراً لاحتمال وجود ترسانة نووية لدى باكستان.
الثالث : السماح باستقلال كشمير بشرط عدم الانضمام إلى باكستان وهو احتمال وارد.
ولكن تزايد مـوجـــــة الـتـطـرف الهندوسي في الهند قد يرجِّح الاحتمالين الأول أو الثاني خاصة بالنظر إلى مـطـالبة الـسـيـــخ بالاستقلال. والذي يبدو أن استقرار الحكم الهندي في كشمير أمر مستبعد ، والهند غير قـــادرة على

حـــــرب استنزاف طويلة الأمد ، وستحاول بقدر جهدها إثارة القلاقل والنزعات الانفصالية في بـاكـسـتــان حتى يخف تأييد باكستان للمجاهدين ، فهل تصمد باكستان في وجه الضغوط ، وتعرف أن كشـمـيـر هــي أكبر ورقة رابحة لها في صراعها مع الهند ، وأن الهند معرضة للتشرذم إذا حلت باكـسـتـان رايـــة الإسلام؛حيث إن حوالي مئة مليون مسلم في الهند يمكن أن يقلبوا الموازين رأساً على عقب. أما إذا اسـتـمــرت سياسة الملاينة فإن الهند ستمضي في خطتها لاستكمال تحطيم باكستان وبالتالي القضاء على آمال المسلمين في كشمير.

الهوامش :

1- * 21 من نيسان سنة 1948م :
"تود كل من الهند وباكستان أن يتقرر مصير جامو وكشمير بإجراء استفتاء حر نزيه فيها .."
* 23 من آب سنة 1948م :
"من المؤكد أن تقرير ولايتي جامو وكثممير لا يتم إلا وفق رغبة الشعب الكشميري الحر" .
* 5 من كانون الثاني سنة 1949م :
"إن كلتا الحكومتين تعترف بوجوب تقرير مصير كشمير بإجراء استفتاء حر محايد بطريق ديمقراطية سلمية"
* 13 من كانون الأول 1952م :
"وإن مجلس الأمن ليعيد قراره السابق الذي وافقت عليه كل من الهند وباكستان والذي يقضي باجراء الاستفتاء العام الحر المحايد في كشمير".
* 16 من تشرين الثاني 1957م :
"تسلم الحكومتان - الهند وباكستان - بما اتُّخذ في 13 من آب 1948م و5 من كانون الثاني 1949 من قرارات بشأن إجراء الاستفتاء الحر والمحايد في ولايتي جامو وكشمير".

مقابلة

أمين مكتب الإعلام
في حركة الجهاد الإسلامي الإريتري
يتحدث إلى "البيان"

د. مالك الأحمد

أجرى الدكتور مالك الأحمد مندوب مـجـلــة "البـيـان" مقابلة مع الأخ آدم إسماعيل أمين مكتب الإعلام في حركة الجهاد الإسلامي الإريتري ودارت المقابلة حول الوضع العام على الساحة الإريترية.

*** حبذا لو عرفتم قراء مجلة "البيان" بإريتريا وأهميتها وسكانها ؟ .**

تـقـــع إريتريا في أقصى الساحل الغربي للبحر الأحمر جنوباً، وتعتبر بوابته الرئـيـسـيـة، ويحدها السودان غرباً وأثيوبيا جنوباً. ولهذا الموقع أهمية بالغة لأنها تعتبر جزءاً من القرن الإفريقي وبوابة شرق إفريقية ، فضلاً عـن قربها من المقدسات الإسلامية ومنابع البترول ، وأغـلـب الـسـكــان مسلـمـون ، واللغة الـعـربـيـة أساسية عندهم ، وهناك قلة من النصارى والوثنيين. وقد دخلها الإسلام مبكراً من الهجــرات الأولى للصحابة ، وكانت منطلقاً لنشر الإسلام في إفريقية .

*** كيف وقعت إريتريا فريسة للاستعمار وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الحبشية؟**

كــانت إريتريا جزءاً من الخــلافة الإسلامية حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث ضعفت الخــلافة فوقعت البلاد بأيدي الاسـتـعـمار الإيطالي الذي سعى لنشر النصرانية في البلاد ، وبعد الحرب العالمية الثانية وانهزام إيطاليا حل الاستعمار البريطاني محله وفرضت الدول الغربية في عام 1950م الفيدرالية ؛ حتى ضُمَّتْ إريتريا المسلمة لأثيوبيا النصرانية ، وقام هيلاسيلاسي باضطهاد المسلمين وإلحـــاق البلاد بأثيوبيا متعاوناً مع نصارى إريتريا الذين كان لهم دور هام في ذلك مما أثمر انتـفـاضـات شعبية إريترية أعقبها قيام جبهة التحرير الإريترية التي تسعى لاستقلال إريتريا.

*** كيف برزت الجبهة الشعبية وسيطرت على مقاليد الأمور في البلاد ؟ .**

في بداية السبعينيات طغت الصراعات الحزبـيـة ، وانحرفت جبهة التحرير عن مسارها ، ودخل العلمانيون فيها مما أثمر عدة تنظيمات أبرزها وأقواها الجبهة الشعبية التي انفردت بالساحة بعد تصفيات ومعارك مع التنظيمات الأخرى، وسـيـطـــر الـنـصـارى على مقاليد الجبهة الشعبية وعلى رأسها أسياس أفورقي ، وسعى لتخريب البلاد وإفـسـادهــا وإذلال المسلمين ومحاربة دينهم وتجنيد الفتيات ونشر الرذيلة.

*** كيف تأسست حركة الجهاد الإسلامي الإريتري ؟ .**

بـعـــد أن خلت الساحة للجبهة الشعبية الصـلـيـبية التوجه ، والتي أصبحت رديفاً للعدو الأثيوبي في معاناة الشعب الأثيوبي - سعى المسلمون ووحدوا صفوفهم وأعلنوا ميلاد حركة الجـهــاد عام 1409هـ لحماية المـسـلـمين وأعراضهم ورد الظلم عنهم ، ومواجهة الجبهة الشعبية ابـتــداءً ثم الـعــدو

الأثيوبي لاحقاً ، وبحـمـد الله فقـد حققت الحركة الكثير من الإنـجــازات خـلال الأعوام السابقة سواء في الجوانب الدعوية أو الجهادية ضد الجبهة الشعبية.

*** ما هو منهج حركة الجهاد ؟**

تتبع حركة الجهاد المنهج الإسلامي كما هو في الكتاب والسنة ، وعلى فهم السلف الصالح وعقيدتها سلفية بحمد الله، وتـؤمـــن بأهمية التربية الشاملة للمسلم كي يؤدي دوره في الحياة وتسعى الحركة لإقامة دين الله مستخدمة الوسائل الممكنة ومنها الجهاد في سبيل الله.

*** ما هي أوضاع إريتريا الحالية وهل استقلت ؟ .**

عندما ضعف "منغستو هيلا مريام" وفشل في تنفيذ الدور المطلوب ، ضغطت الدول الغربية والعرَّابان : كارتر وكوهين ، وتم الاتفـــاق على تنازله عن السلطة (1991م) . وتسلمت الجبهة الشعبية السلطة في إريتريا والجبهة المتسلطة في أثيوبيا ، وهما جبهتان نصرانيتان متحالفتان ضد المسلمين ، وأعلنت الجبهة الشـعـبـية أنـهـا ستقوم باستفتاء شعبي حول الاستقلال (رغم أن هدف الجبهة المعلن هو الاستقلال).

*** ما هو الوضع الاجتماعي والاقتصادي الحالي في البلد بعد سيطرة الجبهة الشعبية؟ .**

الوضع متدهور على كافة الأصعدة ، فاقتصادياً هناك فقر شديد بسبب سياسات الجبهة وإقصائها للتجار ، كذلك الوضع سيء للغاية اجتماعيا ؛ فالفساد الإداري يضرب أطنابه في البلاد ، وهياكل الدولة مهترئة مما شجع اللاجئين على عدم العودة إلى بلادهم ، بل اضطر بعض الناس للهجرة ثانية بعدما رأوا سوء الأوضاع.

*** هناك أخبار عن دور خبيث للجبهة ضد المسلمين داخل البلاد؟ .**

هذا الأمر واضح للعيان ، فمحاربة الجبهة للإسلام تتم على كـافــة الأصعدة في الإعلام ، والمدارس ، والقوانين ، وكذلك نشر الفساد الأخلاقي كالبارات وبيوت الدعارة ، وإثارة النعرات القبلية ، وتوزيع أراضي المسلمين على النصارى لاستثمارها ، وتسهيل تجنيس النصارى من "التغراي" وأثيوبيا لتغيير التركيبة السكانية بحيث تـتـحـول الأكثرية إلى نصارى فضلاً عن إحلال (اللغة التغرانية) محل العربية كلغة رسمية في البلاد.

*** ما هو الوضع السياسي العام في إريتريا الآن؟ .**

الحاكم الآن في البلاد هو الجبهة الشعبية بمشاركة بسيطة وغير مؤثرة مـــن التنظـيـمـات العلمانية الأخرى ، وعلقت استقلال البلاد باستفتاء شعبي ، وربطت البلد بأثيوبيا تماماً وأطلقت لها حرية التصرف في ميناء مصوِّع الحيوي لإمدادها بحاجاتها .

*** على الصعيد العربى والإسلامي ما هي علاقات النظام الحاكم الآن بهذه الدول؟.**

تنكــرت الجبهة الشـعـبية للدول العربية التي ساندتها سنين طويلة وأمدتها بالدعم ، بل وأصبحت تعاديها جهاراً وتسبها بالإذاعة وتنفي صلة البلد بالعروبة والإسلام كاشفة وجه الجبهة الشعبية الصليبي..

*** هل لكم أن تحدثونا عن العلاقات اليهودية مع نظام الجبهة الشعبية؟.**

علاقـــات الجبهة مع اليهود أصبحت معلومة ومكشوفة ، وهي تبررها بأن وجود علاقات طبيعية بين بعض الدول العربية(مصر) مع كيان "إسرائيل" مبرر كافٍ لأن تقوم هي بذلك، والحقـيقــة أن مـبعـث هذه العلاقة هو الخطر الإسلامى المشترك ، وإريتريا مدخل البحر الأحمر وبالتالي تحولها إلى منطقة إسلامية صرفة يهدد أمن دويلة "إسرائيل" ؛ لذلك قامت دويلة "إسرائيل" باسـتـئـجـار جــــزر "دهـلـك" فـي مدخل البحر الأحمر حيث موقعها الاستراتيجي ، وبدأت في إقامة مطار عسكري على أعلى هضبة تطل على البحر الأحمر ؛ حيث الموقع الحساس والخطير ، وزارها أسياس أفورقي بدعوى العلاج للتمويه والتضليل واستقبلت مجموعة كبيرة من المتدربين وأرسلت خبراء لمعاونة الجبهة في قمع (الإرهاب).

*** هل للجبهة الحاكمة توجه صليبي بارز في المنطقة؟.**

نـعـم وهي تـعـمـــل جاهدة لتوطيد النصرانية في المنطقة ، وفتحت الباب على مصراعيه للمنظمات التبشيرية التنصيرية (80 منظمة) في الوقت الذي منعت جهود منظمات الإغاثة الإسلامية ، وتقـــــوم باستقدام النصارى من المناطق المجاورة وتعطيهم الأراضي والقروض لتوطينهم ، كذلك تقــــوم باعطاء المناصب الحساسة للنصارى ، وتضغط على المسلمين كي تضطرهم لترك البلاد ، وتنسق بقوة مع نصارى أثيوبيا ؛ حيث العمق الصليبي وتتعاون مع أجهزة الاستخبارات الـغـربـيـة وتـقـــدم لهم الـمـعـلومات وتحصل منهم على المساعدات الاقتصادية للتمكن من السيطرة على البلد بالقوة.

*** علاقة الجبهة مع السودان محل تساؤل واستغراب فما تفسيركم لهذه العلاقة؟.**

العلاقة بين السودان والجبهة الشعبية - في الأسـاس - علاقة مصالح مشتركة ، فالسودان يعاني من ضغوط "قرنق" والذي استفاد كـثيراً من أثيوبيا وكذلك إريتريا كمنطلق لتحركاته العسكرية ، فاتفق السوادن مع إريتريا وأثـيـوبيا بعدم تقديم أي من الجهات دعماً لجهات معارضة ، ومن هذا المنطق ضغط السودان على حركة الجهاد كي تخرج من السودان تنفيذاً لهذا الاتفاق ، ولا شك أن الإخوة في السودان أخطؤوا التقدير ، فبينما لا يرتدع النصارى عن نقض الاتفاقات يقع الظلم على المسلمين الإريتريين ، ويظهر أن تقدير

السودان في أن يحتوي الجبهة وينشر الإسلام في إريتريا سلمياً كان في غير محله ، حيث كشرت الجبهة عن أنيابها الصليبية وقاومت كل الجهود الإسلامية، بل حدث أنها طردت سفير السودان لأنه أقام مآدب إفطار للمسلمين.

*** ما هو الوضع العسكري لحركة الجهاد؟.**

الحمد لله الوضع العسكري جيد ، ولقد تغيرت الاستراتيجية السابقة المعتمدة على الحرب الشاملة وتحولنا إلى حرب العصابات ؛ حيث أثـبـتـت الأيام جــدواها خصوصاً لوضعنا ، وكان ضغط السودان علينا للخروج - وإن كان محل سخط - فقد كان له أثر طيب فأصبحنا نعتمد - بعد الله - على أنفسنا وطاقاتنا واستطعنا الوصول إلى الشعب في الداخل،وسيطرنا على مناطق كثيرة من الريف (6 محافظات من أصل 8 محافظات) ، بل استطعنا الوصــول إلى الساحل الشمالي للبحر الأحمر ؛ حيث أهميته كبيرة. وحققنا انتصارات طيبة في الفترة الأخيرة ، ومنها انتصارات هامة في رمضان ، ومعنويات مقاتلينا - بحمد الله - عالـيــة بعكس مقاتلي الجبهة الشعبية حيث بدؤوا الفرار من جيشهم ، وإذا سمعوا بقرب وصول قـــوات الحركة يفرون من المنطقة ؛ لأنهم يقاتلون من أجل الدنيا ونحن نقاتل من أجل الآخرة. وبدأ الشعب يلتف حول الحركة في الداخل ، وازدادت قوافل المجاهدين الذين ينضمون للحركة.

*** هل لكم جهود دعوية خلاف جهودكم العسكرية؟.**

جـهـودنــا في ميدان الدعوة هي الأساس وآثارنا ملموسة في أوساط اللاجئين الإريتريين في السودان ؛ حـيــث نقوم بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم للجهاد ، وانطلقنا أخيراً في قوافل لنشر الدعوة في أوســاط الشعب في داخل البلاد ووجدنا - بحمد الله - قبولاً من الناس.

*** هل لكم مكاتب تمثيلية في الخارج؟.**

نعم لنا مكاتب فـي بـعــض دول الخليج ، وكذلك في بعض الدول الأوربية وأمريكا وكندا وأستراليا ، وحيث يوجد مهاجرون إريتريون فلنا وجود معهم إعلامياً ودعوياً بفضل الله.

*** أخيراً ما هو مستقبل الأوضاع - في نظركم - في إريتريا؟.**

المنطقة بأكملها مقبلة على أوضاع صعبة وخـطـيرة ؛ فالمد الإسلامي في المنطقة من الصومال جنوباً إلى السودان غرباً يقضّ مضاجع اليهود والنصارى ، لذلك سارعت دولهم إلى إيجاد موطئ قدم لهم في الصومال وأثيوبيا وإريتريا فضلاً عن المناطق ذات الوجود الغربي الكثيف سابقاً مثل كينيا ، وأرسلت مجموعات من الخبراء والباحثين لدراسة الظاهرة الإسلامية في المنطقة، واقـتـراح أفـضــــل السبل لمقاومتها وتحجيمها. كذلك من وسائلهم إثارة الفـتـنة والقلاقل كمبرر مستقبلي للتدخل المباشر في شؤون المنطقة ، وإثارة ما يسمى حقوق الإنسان عندما تستدعي الأمور ذلك.

أما مستقبل الأوضاع داخــل البلاد - في ظني والله أعلم - أن التعددية السياسية مرفوضة من الجبهة الشعبية نظراً للثقل الإسلامي في البلد ونظام الجبهة لا يمتلك مقومات البقاء؛ فالتصدع داخل الجبهة بارز والعجز الإداري وغـيـاب الأرضية الشعبية فـضلاً عن صحـوة الشعب والتفافه حول حركـــة الجهاد ، والعاقبة أخيراً للمتقين إن هم ســاروا على المنهج وصبروا عليه ؛ ((ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ * وإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ))[الصافات:171-173] .

*** هل من كلمة أخيرة؟.**

أدعو من خلال مجلتنا "البيان" إخواننا المسلمين لدعمنا ودعم الجهــاد؛ قال تعالى:((وَإنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَـعَـلَـيْـكُـــمُ النَّصْرُ إلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[الأنفال:72] ، وقال -صـلـى الله عليه وسلم- : »من جهز غـازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غــزا« متفق عليه ، وأملنا كبير بدعــم إخواننا بالدعاء والنصح والمال ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

المسلمون والعالم

مشاهدات في بلاد البُخاري (5)

د.يحيى اليحيى

لقد تضافرت الـدول النصرانية على دعم الكنيسة وبرامج التنصير في الاتحاد السوفييتي - المنهار -، وقـامت ببناء الكنائس فـي مختلف الجمهوريات ، كما قامت بترجمة الإنجيل إلى جميع لـغـات شـعــوب الـمنطقة، حتى اللغة التي لا يزيد عدد الناطقين فيها عن مائة ألف، فلقد ترجم الإنجيل إلى لغة شعب (قـــره جاي) في بلاد القفقاز الذين لا يزيد عددهم عن مائة وستين ألف. وشيدت الـكـنـائـس في طـاجيكستان وداغستان وغيرهما ، وافتتحت المدارس التنصيرية في مدينة "خولو" في "أجاراي" وقدم للطلاب السكر والدقيق والملابس ، وقد التحق بالكنائس عدد من أبناء المسلمين.

أمـــا مــن الـنـاحية التجارية فقد قدمت وفود كبيرة من الأوربيين والأمريكيين واليابانيين لاسـتثمار المنطـقــة ، والسيطرة على مواردها واستغلال ثرواتها ، وقد لاحظنا كثرة الوفود للغرض التجاري ، فما إن يفارق الفندق وفد حتى ينزله وفد آخر !

أما اليهود - عليهم لعائن الله - فقد شرعت "إسرائيل" في إقامة بعض المشاريع داخل هذه الجمهوريات ، وبـدأت شركة طيران "العال" اليهودية رحلاتها إلى الجمهوريات ، وتقوم الآن بتنفيذ مشروع زراعـــــي * كبير بولاية

فرغانة - ومن المعلوم أن ولاية فرغانة هي من أكثر المدن تمسكاً بالإسلام - وأقامت عدداً من المشروعات المشابهة في جمهورية القرغيز . وهذه قائمة ببعض أنشطتهم :
1- أول من وصل إلى الـمـنـطـقة وفد من إدارة العمل الاسرائيلية ، الذي زار أوزبكستان في بداية عام 1991م وكان على رأس الوفد المدير العام لخدمات التوظيف ، وقد صرح الوفد: أن كثيراً من اليهود الذين هاجروا من أوزبكستان إلى "إسرائيل" يرغبون في تنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين.
2- وقعت شركتان إسرائيليتان هما (شركة أناب للتجارة والاستثـمـار المحدودة ، وشركة مركور) على اتفاقية مع اللجنة الإدارية لخُوارزم اوبلاسـت لإقامة مشاريع لإنتاج النسيج.
3- قام وفد من جمهورية القرغيز بزيارة "إسرائيل"،وتم الاتفاق على إنشاء جمعية تجارية إسرائيلية قرغيزية في بشكيك لإنشاء عدد من المشاريع في قرغيزيا.
4- تم الاتفاق على إنجاز عدد من المشاريع الصناعية على يد اليهودي السوفييتي والمؤلف المشهور "شنعيز ايات ماتون"، الــذي اتفق مع "إسرائيل" على إنشـــاء المصانع التالية في قرغيزيا :
* مصنع للسجائر.
* مصنع إنتاج علب البوليثيلين للمنتجات الغذائية.
* إنشاء مزرعة نموذجية مساحتها 2000 هكتار بمساعدة إسرائيلية من الناحية الفنية.
* إنشاء مصنع لتعبئة الحليب.
* إنشاء شركة لتصنيع آلات الري.
5- قام وزير الزراعة الإسرائيلي إيتان بزيارة لقرغيزيا وبحث موضـــوع إقامة مشاريع في مجالات الري وإنتاج القطن ، وصوامع الحبوب ، والبيوت المحمية ، وتربية المواشي.
6- أقامت جمهورية آذربيجان اتصالات رسمية مع "إسرائيل" ؛ حيث جرى توقيع بيان مشترك مع الوفد الإسرائيلي برئاسة الوزير الصهيوني للعلوم والتكنولوجـيـا يوفــال نيمان ورئيس آذربيجان مطلبوف حيث وقعا في "باكو" على اتفاقية رحلات جوية بين "بـاكــو" وتل الربيع (تل أبيب) كل يوم أربعاء.
أمــــا الإسماعيلية الآغاخانية : فتحاول الآن بناء مركز لها تزيد تكلفته على مائة مليون دولار في سمرقند ، وأن دراسة المركز كلَّفتها مليون روبل.
أما الـقــاديانية فقد دخلت جمهوريات بحر البلطيق ، وقامت بنشر مذهبها بين المسلمين الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ، وقد حدثني أحد المسلمين هناك أن القاديانية جاءتهم من بريطانيا ، وأن المسلمين لا يوجد بينهم مَن يحسن الإمامة.

أما الروافض (الشيعة) فلهم تاريخ أسود مع أهل السنة في تلك البلاد ، وخاصة أيام الدولة الصفوية التي أسسها الشاه إسماعيل في إيران ، فقد أحس العثمانيون بالخطر على القفقاز بسبب اتفاق الشاه طهماسب الرافضي (ت 984هـ/1576م) مع إيفان الرهيب (1530-1584م) على معاداة العثمانيين في القفقاز.

ابتدأ الـــروس بمناجزة بلاد القفقاز بعد الانتهاء من بلاد التتار ، وتم الاتفاق بين الشاه الصفوي الشيعي طهماسب والقيصر الروسي إيفان الرهيب ، وبعد ضعف العثمانيين احتل الروس بـــلاد داغستان وسواحل بحر الخزر الغربية.

وبعد انهيار الشيوعية نزلوا بثقلهم لمساعدة إخوانهم ، وبَنِي ملَّتهم ، والسيطرة على أهل السنة والتأثير عليهم ، وقد ذكر لي مفتي وقاضـــــي طاجيكستان أن وزير الخارجية الإيراني زارهم وتبرع بتوسعة مسجدهم ، وقد اطلعت علـــى هذه التوسعة ، وذكر لي أيضاً أنه تبرع بمكافأة للطلاب في معهد الإمام الترمذي ، وهنـــاك النشاط الإعلامي الذي تبثه إيران لهذه الجمهورية باللغة الفارسية المشتركة وللعلم فــــإن كثيراً من أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة شيئاً ، ولا يتصورون خطرهم ، بل وجدت عدداً كبيراً من الشباب يفتخر بهم لجهله إياهم.

أما الصوفية فيوجد عندهم كثير من الطرق الصوفية الغالية ، إلا أن التأثير الخرافي والذي يخشى من انتشاره بـيـنـهـم ، هـــو ما يحمله الزوار - من أهل الخرافة - القادمون من الحجاز وبعض البلدان العربية والهـنـديـة ، لأنهم يرون - خصوصاً في أهل الحرمين - القدوة ويتقبلون ما يأتيهم منهم باعتبار أنـهـــم من أهل العلم والإيمان ، وفعلاً قام هؤلاء بالدعوة هناك وبنشر الكتب في العقيدة وغيرهــا - المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة - وبناء مساجد تحمل أسماء رموز أهل الخرافة والتصوف.

هذه بعض جهود أعداء الله ورسوله في ديار العلم والعلماء ، ولا شك أن مكر الكفار كبير وتخطيطهم دقيق ؛ كما قال - تعالى - : ((وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وإن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ))[إبراهيم:46]،وقال-تعالى -: ((وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً))[نوح:22]، ولـكـــن لنعلم أن مكر الكفار لا قيمة ولا وزن لـــــه إذا ما تحرك أهل السنة والجماعة ، وبذلوا ما بوسعهم في سبيل الدعوة إلى الله - تعالى - وسيتحول المكر إلى ضعف وزوال إذا واجه أهل الله وخاصته ؛ كما قال - تعالى - : ((الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)) [النساء:76] ،وقال - تعالى : ((لَن يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أَذًى وإن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ)) [آل عمران:111].

لن تخيفنا النصرانية بدولها ولا اليهودية ، ولا الطوائف المضللة إن قمنا بتبليغ وإرشاد إخواننا هناك ، وبذلنا ما نستطيعه من الجهد والمال لنشر الإسلام ، وإخوانا هناك هم الآن بأمسّ الحاجة إلينا ، والساحة - ولله الحمد - تتسع لكل

العاملين ، فاللهَ لا تخذلنّ جهة من جهات أهل السنة الأخرى ، بل لتعمل جميع الجهات من أهل السنة والجماعة ، وإن اختلفت وجهات النظر ؛ فالساحة واسعة ولله الحمد ، ولا يمكن أن تغطيها جهة واحدة أو جماعة واحدة ، ولابد أن نسارع إلى عرض الإسلام في صورته الصحيحة، قبل أولئك المجرمين، قبل أولئك المضللين، قبل أولئك الزنادقة ، لنقدم ما نستطيعه لدين الله - عز وجل - في بلاد أئمة العلماء وثقاتهم.

حاجات المسلمين هناك :

تعيش المنطقة اليوم مرحلة خطرة، والغرب يخطط لها كي تنتظم في سلك الدول الإسلامية التي أخذت بالمنهج العلماني (اللاديني) ؛ فوزير الخارجية الأمريكي اجتمع بالمسؤولين هناك وعرض عليهم الإسلام التركي ، دلالة على هذا العنوان معلومة ومعروفة لأنهم لا يريدون الإسلام الذي يحضهم على العلم والتقوى والصلاح ، ويُرجعهم إلى تاريخ آبائهم الأولين في العلم والتعلم والجهاد في سبيل الله ، فهم يريدون لهم أن يأخذو اسم الإسلام ، أما المحتوى فهو العلمنة ، والبُعد عن دين الله - عز وجل - .

عاش المسلمون هناك تحت نير الشيوعية وكأنهم خرجوا من سجون مظلمة ، والعدو الآن يخطط ويبذل كل شيء محاولاً طمس معالم الإسلام في قلوب الناس ، فلقد ذعر الشرق والغرب من بقاء المسلمين على دينهم على الرغم من هذه الحرب الشرسة على معتقدهم ، ومن هذه الإبادة التامة لعلمائهم وشعائرهم لمدة سبعين عاماً ؛ ولذا أقول : لابد من مد يد العون لهم ، ولابد من المسارعة في ذلك وبذل الوسع والله - عز وجل - وصفنا أننا من المسارعين والمسابقين إلى فعل الخيرات ، كما قال - تعالى -:((وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ)) [آل عمران:114] ، وقال -سبحانه-:((سَابِقُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والأَرْضِ))[الحديد:21] .

احتياجات مسلمي الدول المستقلة :

1 - المدارس الشرعية : وكما هو معلوم فإن المدارس الدينية في تلك البلاد تشهد إقبالاً من الآباء والشباب ، ومع ذلك تشكو من عدم وجود المناهج المدروسة والتي تتناسب مع ظروفهم الحالية ؛ لذا لابد من المسارعة إلى وضع المناهج السليمة والصحيحة التي تجمع المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولا تفرقهم.

2- مواجهة الطوفان الكنسي النصراني ، الذي أغرق الأسواق والمدارس والمساجد بالأناجيل والكتب والنشرات والأشرطة النصرانية ، بجميع اللغات ، وتكون المواجهة بسد فراغ الضائعين ، والتصدي لغزو الملحدين وذلك بتقديم المنشورات الإسلامية الصحيحة كافة .

3- العناية بالدعوة إلى الله واستغلال جميع الوسائل الشرعية.

4- إن الإقبال على التعليم في تلك البلاد منقطع النظير ؛ لذا لابد من السعي إلى تكثيف الـمـدارس وتحـمـل مصارف تشغيلها ، وإيفاد البعثات للدراسة في الجامعات الموثوقة في الخارج.
5- العمل على إنشاء عدد من الكليات الشرعية لتأهيل العلماء والدعاة والخطباء والأئمة.
6- اهتمام الناس هناك بصلاة الجماعة وحبهم للمساجد واضح ، إلا أن الإمكانات قد لا تساعد الجميع عـلـى بـنـاء الـمساجد ، فلابد من تكثيف المساجد واختيار المناطق النائية والقرى البعيدة لذلك ، مع العناية في نشر المساجد في كل قرية وناحية ، وترميم المساجد القائمة ، واستغلال الفرصة في ذلك ما دامت تكاليف البناء حتى الآن زهيدة إذا ما قِيست بغيرها ، مع أن الأسعار تتضاعف مع تقدم الزمن.
7- العمل على شراء ووقف بعض المنشآت المعروضة للبيع لاستغلال ريعها في الإنفاق على المشاريع الخيرية.
8- تنظيم برامج ودورات لإعداد وتدريب الدعاة.
9- تنظيم دورات للأئمة والخطباء.
10- تسيير قوافل الدعوة والإغاثة إلى المناطق النائية.
11 - الإشراف على رحلات الحج.
12- فتح مكتبات تجارية إسلامية مقروءة ومسموعة.
13 - فتح مكتبات في المساجد والمدارس مقروءة ومسموعة.
14- إقامة مراكز ترجمة إلى اللغات المحلية.
15- العمل على شراء دور الطباعة والنشر ؛ لتتولى طباعة الكتب الإسلامية والدوريات والمجلات والنشرات.
16- إنـشـــــاء مراكز إسلامية متكاملة في العواصم لتقوم بأنشطة متعددة، مـثــل عـقــد المحاضرات والـنــدوات ، وإقـامة المخيمات ، والإشراف على الدورات المركزة للدعاة والخطباء ، ومتابعة برامج الإغاثة للمسلمين في المناطق النائية ، وتنظيم الزيارات والوفود واستغلال أوقاتهم لتحقيق المنفعة العامة.
17- الاستفادة من مواسم الخير مـثــل رمـضـــــان لإرسـال الدعاة والعلماء لتعليم الناس واستغلال تجمُّعهم في مثل هذه المواسم.
18- العمل الجاد على نشر اللغة العربية وتقريبها للناس ، وذلك بإنشاء مختبرات تعليم اللغة ، وبعث المدرسين العرب إليهم ، ونشر الآلات الكاتـبة العربية في المكاتب الرسمية وغيرها.
19- التركيز - وخاصة في البلاد النائية - على تعليم الناس وما يجب أن يعلَّم من الدين بالضرورة مثل : توحيد الله - عز وجل - والوضوء والـصـــــلاة وغير ذلك من الأحكام المفروضة.

20- العمل على إيصال بث إذاعة القرآن الكريم إليهم ، باللغة العربية ولغاتهم المحلية ، حيث يوجد في هذه البلاد - أعني بلاد الحرمين - ولله الحمد - من يجيدون تلك اللغات وهم على علم وفقه واعتقاد سليم ، فينبغي المطالبة بذلك ، وتذكير المسؤولين به.
21- إقامة مصانع للمسلمين في بلادهم ، كمصانع القطن والحرير ؛ حيث لا توجد عندهم مصانع ذات شأن يُذكر ، مع العلم أن النصارى يتسابقون إلى ذلك ، فينبغي قطع الطريق عليهم.
22- العمل على انتخاب بعض الشباب لدراسة العلوم التقنية الحديثة في الخارج ، مع رعايتهم ووضع برامج تربوية لهم .
23- قيام لجنة من ذوي العلم والخبرة بزيارة المنطقة والبـقـــاء فـيـهـا مدة كافية ، لتقدم للمسلمين دراسة متأنية واضحة عن المنطقة وحاجاتها.

كيف نأخذ أخبارهم بصورة صحيحة ؟

لقد زار تلك المنطقة عدد كبير من الناس،على اختلاف طبقاتهم، ومشاربهم، واتجاهاتهم، وأديانهم، وكلٌّ يصف ما رأى ، ويذكر ما يوافق مبدأه ؛ لذا لابد من الاعتماد على الثقات من أهل العلـم والصلاح ، والتجربة والرؤية الثاقبة ، والدراسة المتأنية لمعرفة أحوال أهل تلك البلاد ، وعدم أخذ أخبارهم ممن لا يوثق به ، أو من المتحمسين والمستعجلين ؛ حتى تكون الرؤية صحيحة وصائبة بإذن الله.
وأخيراً فهذه لمحة سريعة عن تلك البلاد وأهلها وبسط ذلك يحتاج إلى كتب ومجلدات ، وتستحق أكثر من هذا ، كيف لا وهي بلاد أمير المؤمنين في الحديث ، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رضي الله عنه وأرضاه - وأسكنه فسيح جنانه . إن هذه البلاد هي بلاد العلم والعلماء ، بلاد الصلحاء والأتقياء ، بلاد المجاهدين في سبيل الله - تعالى - حتى كان بعض السلف يسميها "بلاد التقوى" ، لكثرة ما فيها من العلماء الربانيين ؛ ولذا لابد مـــن أن نذكّـــــر إخواننا هناك بأن يسيروا على منهج أولئك ، من المحدثين الصالحين البررة أمثال البخاري ، والترمذي ، والنسائي وابن ماجة ، والدارِمي ، وعبد الله ابن المبارك ، والإمام أحمـــد ، وسفيان الثوري ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من نجوم هذه البلاد، فأهل هذه البلاد هم أحفادهم وبَنُوهم، فلابد أن يسيروا على منهاجهم، وأن يقتفوا خطاهم ، ويجب علينا أن ننشر كتبهم عندهم.
وأقول مرة أخرى ، ينبغي أن يحـــــرص أهل العلم وأهل الثقة ممن يعرفون لغات أولئك القوم - أن يقيموا معهم السنين ، وإن لم يستطيعوا فالشهور ، وأن يكونوا دعاة إلى الله - عز وجل - وعلى بصيرة فإن الله - تعالى - سائلهم عن ذلك ، وهم لهم حقوق عليهم فقد فرطوا فيها سبعين عاماً ، فليقوموا بذلك ويعوضوا ما فات ، كيف وهم يعلمون نشاط أعداء الإســـلام بـيـنـهـم ،

والله - تعالى - يقول : ((إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ)) [النساء:104]، أي إن يُصبْكم الألم في العمل الصالح بينكم وبينهم أنكم (تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ) ، ترجون من الله الخير والثواب في الدنيا والآخرة وذلك ما لا يرجونه.
فيا إخواني : كيف نراهن على ديننا ؟ كيف نراهن على إخواننا ؟ أعداء الله وأعداء رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، قاموا بكل جهدهم ، ونزلوا المنطقة بكل ثقلهم ، ولم نَرَ وجوداً يُذكر لأهل السنة والجماعة إلا ظلاً، فلابد أن نسارع قبل غيرنا لإنقاذ هذه البلاد، قبل أن تدخل في العلمنة فتمسخ فِطَرهم ، وينبغي عرض أحوال أهل هذه البلاد على أهل الغيرة من أهل العلم ، والمحسنين التجار ، وعدم التأجيل في ذلك.

الهوامش :

* ملاحظة:تحاول "إسرائيل" الصهيونية إقامة مشاريع زراعية في بلدان العالم الإسلامي، وتنشر نوعاً من الهرمرنات التي تولّد العقم ، وهدفها قطع نسل المسلمين وقد كشفت وسائل الإعلام المصرية عن أخطار المشاريع الزراعية الصهيونية في مصر وفي قطاع غزة المحتل.

منتدى القراء

فتاة الأمس !!

أنا - يا فتاة الأمس - أعشق صحوتي تيَّاهةً تحيي موات الأمةِ
هي نظرة للحقِّ تدمغ باطلاً أغشى العيون وحال دون الرؤيةِ
أفنيتُ عُمراً في العواطف أبتغي بحراً من الأحلام يُغرق لوعتي
قدمت لي كأساً من الحب الغبي فسكبتُ كأسكِ في قرارة مهجتي
وبنيتُ من نسج الخيال مدينةً فوق السَّحاب وما سكنت مدينتي
وأتيتُ أروي ظمأتي بسرابها فشربتُ من ماء السراب سعادتي
وتداركتني رحمة فهجرتني فبكيت حزناً يا لفرط حماقتي
وَلَكَمْ تعالت من فؤادي صرخةٌ تشكو جراحي من فراق حبيبتي
ولقد رأيتُ الدرب في ظُلم الهوى كَنُجَيْمة لمعت بحالِكِ ظلمتي
هذا هو الدرب القويم وليتني ألفيتُه قبل الضياع وغربتي
فلتعلمي أني نسيتك والهوى ونسيت حباً كاد يصرع همتي
ولتعلمي أني ابتعدتُ عن الغوى ولْتعلمي أني سموتُ بنظرتي
وتركتُ شعرا كان يبعثُهُ النوى وجعلتُ قولَ الحقِّ متنَ قصيدتي
لا.. ليس شوقي اليوم قيد غرامكم شوقي تسامى نحو حُور الجنةِ
أنا إن سكنتُ الأرض مفترِشَ الثرى فهناك قرب النجم تسكن غايتي
أنا مسلم أأبَى الهوانَ لديننا أنا إن رضيت الذلَّ أقتل عزتي

أنا مسلم أهـــوى الجـهـاد وصادقاً أدعـــــو إلهي أن تحقَّ شهادتي
فسفينتي عبْر الحياة تـطـــوف بـي وكتابُ ربــي مرشــــدٌ لسفينتي
إنــي كـتـمــت الـيـوم ألف قصيدة وقصرتُها قصراً بجـوف قصيدتي

حسن بن محمد الرافعي

يا بوسنة البُشْنَاق

يا بوسنة البشناق صـبـــــراً فالـمـهـالـكُ في ذهـــــــابْ
لا يــبـقـى إلا مـــسـلـــــمٌ بـاقٍ عـلـى ديـنِ الحبـيـبْ
مهلاً فـقـد كاد الدخــــــانُ يذوبُ في الأفقِ الخضيـبْ
ويـصـيـح أن الـقـائـــلــــــ يـن الجـائـرين بلا قلــوبْ
وَيْـحَ لـهـم لـم يرحـمـــــوا طفلاً ولم يَرْثــوا لِـشِـيَـــبْ
قـتـلـوا النساء حوامـــــــلاً ومشوا بهنَّ إلى الـكــــروبْ
لا ترتجِي عطفاً من الأوْغــ ـادِ أصـحــابِ الـصـلـيـــبْ

مطلق عماش العتيبي

رسالة إلى قوم الصمت

يا قوم تحية لكم ، جراحاتنا لا تعد ، فكلما تذكرنا جرحنا في بورما ، فتح الجرح الآخر في سريلانكا ،ثم تبعه جرح الهند ، ولا أنسى جرح الفلبين ، وسأعـرج بعد عودتب من الفلبين على جرح فطاني ، ثم أعود لفلسطين الحزينة وأتركها لأنتقل إلـى وســط آسيا ، ومنها سأمشي إلى سرايفو المثقلة بالمآسي والفظائع ، فهل انتهينا ؟ لا ، فالمسلمون في كــل مكان، ما بين تنصير وتغريب، وتقتيل وتشريد واغتصاب وتعذيب، أرواح تزهق، أعراض تنتهك ، موارد تنهب عيانا جهارا ، وإزاء هذا كله ما زال الصمت ، كصمت الحـجـارة والصخور الصم.

آه يـا قـــوم الصـمــت آه جعجعوا ، ازبدوا ، ارعدوا ، انطلقوا ، لا تبقوا هكذا ، فصمت الحجر قاس ، والـشـجـرة ترفض الصمت ، فإن احتاجت الماء ، عبرت عن ذلك باصفرار أوراقها فهب زارعها وأعطاها ما تريد، أما الحجر فالصمت الصمت.

لمثل هذا يذوب الحجر من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولكن:

إذا الإيمان ضاع فلا أمـــــان ولا دنيا لمن لم يـحـيـي ديـنـا
ومن رضي الحياة بغير ديــــن فقد جعل الفناء لهــا قـريـنــا

بريد القراء

*** الأخ أبو مالك - الرياض:**

يقترح في رسالته فتح باب "الهـــواة للتعارف في العالم الإسلامي" شرط أن "لا يُسمح بنشر الصور ، و"لا مشاركة النساء" والهدف هو "معرفة المسلمين في كل ناحية وزيادة التعارف بين المسلمين".

البيان : المتابع للبيان يعرف جيداً أن هذه الأبواب ليست من سياسة المجلة . جزاكم الله خيراً على الاقتراح.

*** الأخ بوهية داروزي:**

أرسل لنا بمقالةٍ بعنوان : "لماذا يتـعـصب الغرب ؟" يرى أن الغرب اليوم "لا يختلف كثيراً عن الغرب الذي تعصب لصليبيته مرسلاً جيوشه لتحتل القدس عام 1099م وما تلاها.." ، يخلص إلى القول إلى أن : "تصريحات وزير الخارجية الأمريكي بأنهم - أي الأمريكيين - عندما يصرحون بأنـهـم لم يـغــــيروا رأيهم من الإسلام . وأنه ليس عدوهم بل عدوهم جماعة معينة متطرفة (...) وهذا محض افتراء ؛ لأن الواقع يدحض ذلك".

*** الأخت عبير عبد الله الطنطاوي:**

القصة القصيرة "للموت مليون طريقة" التي أرسلتِ وصلت المجلة. وهي قيد الدرس جزاكم الله خيراً.

*** الإخوة حسن عزوز وأبو ذر أحمد:**

وصلت رسائلكم ، جزاكم الله خيراً ، للحصول على المجلة لابد من الاشتراك الذي تجدون تفاصيله على غلاف المجلة .

*** الأخ الفاضل صالح العلي الخليفة:**

وصلت قصيدتكم "رثاء البوسنة والهرسك" وهي قصيدة جيدة ، ولكن نعتذر عن نشرها لكثرة ما يردنا عن الموضوع ذاته وجميعها "رثاء" للـبـوسـنـة أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي .

*** الأخ الفاضل عبد العزيز بن أحمد با طرفي:**

وصلت "دراستكم" ، والتي تجاوزت العشرين صفحة . جزاكـم الله خيراً على ثقتكم بالبيان وعلى المجهود الذي بُذل في هذه الدراسة ، ولأسباب دلالة فالدراسة طويلة جداً فإننا نعتذر عن نشرها إلا إذا أحببتم تزويدنا بتلخـيـــص لها أو بمقالات ترون نشرها في الموضوع نفسه أو بموضوعات أخرى مع الالتزام بشروط النشر.

*** الأخ الفاضل شريف قاسم:**

أرسل لنا قصيدة بعنوان "رواية الحجر" نعتذر عن نشرها كاملة لطولها ولكثرة ما يردنا عن نفس الموضوع ونختار منها الأبيات التالية:

ترجع القدس ولـكـــن بالتُّقــى لا بأقوامٍ بغوا وانـقـسـمـــــوا

ومفاتيح فِـلـسـطـيـنَ عـلـى صدر مغناها ولا تنبهـم
بابها ينتظر الـنـصـر وكـم مر من شارعه مَن أتخمـوا
يا لأجدادي الذين استعذبـوا نسمة الجنة إذ هـم أقدمـوا
في ظلال السيف أحيوا مجدهم وبـأيـدي الـعـز رفّ العلـمُ

واحة البيان

نشرت مجلة "الرسالة" في عددها رقـم 120 الصادر في 23 من رجب 1354هـ الموافق 21 من أكتوبر 1935 - قصيدة لأمير الشعراء الراحل أحمد شوقي وجهها لمراقب الصحف في "إسطنبول" :

مراقب الصحف بالآسِتَانة

لـنـا رقـيـب كـان مـا أثـقلـه الحـمـد لله الـذي رحَّـلـهْ
لـو ابـتـلـى الله به عاشـقـاً مـات بـه لا بالجـوى والولهْ
لو دام للـصـحـف ودامت لـه لم تنجُ منه الـصـحف المُنْزلةْ
إذا رأى الـبـاطـل غـالى بـه وإن بدا الـحـق لـه أبـطـلـهْ
جـرائـد الـتـرك على عهـده كـانـت بـلا شـأن ولا مـنزلةْ
الـشـر بالـشـر فـيـا قـوم لا إثـم إذا راقـبـتـمـو مـنـزلـهْ
فحاصروا الأبواب واستوقفوا مَـن أخـرج الزاد ومن أدخلهْ
إن كـان فـي السـلـة تـفاحةٌ ضـعـوا لـه مـوضـعها حنظلةْ
أو جيء بالشرشر1 له فاملؤوا مـكـانـها مـن عـلـقـم جـردلهْ
أو اشتهى الأبيض من ملبـس قـولـوا لـه الأسـود ما أجملهْ
ذلك يـا قـوم جـزاء امـرئ كـم غـيَّـر الحـق وكـم بـدلـهْ

الهوامش :

1- عين معدِنية ، مياهها حلوة صحية .

أين تعلمت هذه الكتابة ؟!

تلقى أحـد الأدبـاء رسـالـة كُتبت بخط رديء فكتب لمرسلها ساخراً: أحد حروفك طبل ممزق، والنقطة داخله بلاطة ثقيلة ، والآخر حوش أنهار سقفه ، فلم يبقَ إلا عمود يسند بقاياه ، قل لي : كيف استطـعـت أن تحمله هـذا الجلمود الثقيل ؟ ، كل سطر منك يشغل صفحة كاملة، الحرف كشجرة ممتدة الأغصان، وعملت فيها فؤوس الحطّابين ، عجيب: أين تعلمت هذه الكتابة ؟!

فرّ زيتون من الجبن

قال خليل بن أيبك الصفدي في (الغيث المسجم في شرح لامية العجم): كتب القاضي محيي الدين عبد الله بن الظاهر: لما التقى الملك الظاهر مع (زيتون الفرنجي) قريباً من عكا، هرب زيتون وأسر غالب مَن كان معه من الفرنج فجاء في مجلة الكتاب: "وفرَّ زيتون من الجبن"!

المرأة والكتب

جاء في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة ، حدثني الشيخ شديد الدين المنطقي بمصر ، قال : كان الأمير ابن فاتك محباً لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب ، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يغادرها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ، وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة ، فلما توفي (رحمه الله) نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي جُلها من الكتب، وأنه كان يشتغل بها عنها،فجعلت تندبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها، ثم أبلت الكتب بعد ذلك من الماء ، وقد غرق أكثرها ، فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال.

حتى متى أرقعك ؟

قالت أسماء بن خارجة لجاريته: أخضبيني .
فقالت: حتى متى أرقعك؟ فقال:
عيرتني خلقاً أبليت جدته وهل رأيت جديداً لم يعد خلِقاً

مقال

هكذا تذكرهم ذاكرة الشعوب

د.عبد الله عمر سلطان

بدون مبالغة أو تهويل مرت أحداث الصومال وأهوالـه لتضرب لي مثلاً آخر على الكيفية التي أنفقت عليها القوى السياسية الإقليمية ومنابرها للتصدي للمتغيرات الخاطفة التي تكاد تصيب المنطقة بالدوار ، وقد تجلّت تلك الكيفية حينما دخل إلى أرض الصومال 30000 جندي من أفراد "المارينز" الأمريكيين ، وكانت المواقف المتولدة عن هذا التدخل غاية في التطابق لسابقاتها من الأحداث والأهوال ، فالعالم العربي والإسلامي قرر منذ الثاني من أغسطس عام 1990 أن يكون بمثابة العضلة الآلية الصَّمَّاء التي تُستثار فتقذف الطاقة اللازمة للانتفاض قبل التفكير في الاتجاه أو عواقب هذا التقلص الآلي .
احتُلت دولة مستقلة عدة أشهر ، وبدا أن خط سير التدخل طويل المدى ومتعرج المسار لا كما تخيل هتافة التدخل ، أو المتخوفون من "أمركة" البلد ذي النسبة الكاملة من المسلمين السُّنَّة ..
أردت أن أكتب شيئاً عن التدخل ، لا سيما وأن ظلاله بدأت تطير "شمالاً" منذرة "بمناطق آمنة".. فأدركت أن التصدي للوضع أعقد مما يحتمل مقال سريع ، وأن الماء الذي في فمي يلجمني عن الحديث عن الظاهرة ، والراصدين لها والمتأثرين بها ، وقررت هذه المرة أن أبسط الحديث عن

ظاهرة وإحدة صاحبت هذا "الغزو" ، وكنت قد أعددت العدة للحديث عنها قبل سنين حينما أثيرت كقضية شائكة على الساحة الأمريكية.. ، ففي عام 1987م سافرت وفود أمريكية شعبية إلى فيتنام في محاولة منها لحل مشكلة جيل من اليافعين أطلق عليهم اسم "أمريكيي فـيـتـنـام".. أولئك كانوا أطفال السِّفَاح وشاهد الجريمة التي ارتكبها الجنود الأمريكيون خلال الحرب في الهند الصينية.. كانت الأغلبية العظمى من أولئك من أبناء الزنى ، ولا يتعدى الأبـنـاء الشرعيون بضعة آلاف بين أكثر من 35000 طفل وشاب هو مجموع نتاج الحضارة الأمريكية الزاحفة إلى مجاهل فيتنام..، وانـطـلـقـت الصـحـافة الأمريكية ووسائل الإعلام الغربية تعرض جزءاً من المشهد الكالح.. وكيف تحـولـت قـرى بأكملها إلى فراش عُهر، وأن القاصرات كُنَّ هدفاً جماعياً لإغراء الدولار الأخضر.. ، دُمرت أسر وهتكت أعراض وظهر جيش من الجراد البشري يذكّر صباح مساء بالجريمة ومقترفيها من خلال المعالم والـقـسـمـات التي كانت تحكي عن قصة حزينة جاءت بأولئك الذين لا يشبهون الفيتناميين ولا الأمريكان، إنهم أولاد "البين بين" كما يسميهم السكان المحليون..
"هكذا دخل الفاتحون من اليانكي" قالها شيخ فيتنامي عجوز ، وأشار "لقد أوجدوا مدناً ليس فيها إلا شيطان للشهوة يحـكــم ويعـربد.." ويمضي العرض التوثيقي فيبرز لنا "مدن الرذيلة" الشرق آسيوية ، فلقد كانت بانكوك مدينة صغيرة غارقة في أحلام وهموم أبنائها ، حتى أتى الدولار الأخضر تحركه آلة بشرية متوحشة ، تبحث عن اللذة ، وتدمر القيم ، وفي سنوات قصيرة انقلبت بانكوك إلى أكبر ماخور آسيوي وأخطر بيت للدبابير الوبائية في العالم..
وبالطبع كانت هناك مدن أخرى كمانيلا وسنغافورة..
ربما تـتساءلون ما علاقة"الصومال بذلك؟ وأجيب:العلاقة ظاهرة لمن يتذكر حادث الاعتداء على الـفتاة الصومالية التـي كانت "لا ترقِّه عن الفرقة الفرنسية في مقديشو ، والتي أفلتت من الـموت بعد تدخل أهـــــل "النخوة" من الجنود الأمريكان لإنقاذها" ! .. وخوفي على الصومال زاد حين طُرحت الـمـشـكـلة مرة أخرى على نمط ما يحصل في الـفـلبين - حيث ينسحب الجنود الأمريكان من قواعدهم العسكرية بعد عقود من التواجد الدائم - تفجرت مشكلة مشابهة حيث هناك الآلاف من أطفال اللذة المحرمة الذين يرفض آباؤهم الاعتراف بهم ويتركونهم يواجهون خطر الجــــوع والانحــراف حيث أصبحوا مــادة رائجة لتجار الانحراف في العاصمة الفلبينية ، لقد تعقدت المشكلة وتفاقمت لكن الذي بقي في ذهني من النقاش حولها كلمة قالها "وحش بشري" من المارينز وهو متجهِّم : "يكفيهم شرف وجود الدم الأمريكي بين أطفالهم.."!.
هكذا... هكذا.. والآن.. ماذا عن الفاتحين الغازين من جنود أمريكا في الصومال؟؟ "إنهم يتجهون إلى هنالك لأداء مهمة لا يعرفون لها هدفاً ولا

يتحمسون لنتائجها.." هكذا يقول "أرنست دلسوك " المعلق الأمريكي ويضيف : "مأساة الجندي الأمريكي أنه ينفذ الأوامر دون أن يحمل قضية بل ربما حمل تناقضات مجتمعه إلى البلد المغزوّ.." .

ماذا وجد هؤلاء في الصومال المسلم ؟ :

بعض الشهادات من الجنود والمعلقين الأمريكيين تقول إنهم وجدوا :
"أناساً فقراء ، لكنهم أعزة" .
"الشرف والعِرض أغلى ما يملكه الصومالي ولو كان لصا.."
"مقديشو أكثر أمناً من شوارع واشنطن، في واشنطن هناك أباطرة المخدرات وزعماؤها، وهنا أباطرة الحرب والسلب ، والفريق الثاني أقل خطراً من الأول..".
أحداث لـوس أنـجـلــوس والصـــراع الـعـرقـي الصـاعـد في المدن الأمريكية أثَّر بدوره على التعايش، وفتح أعين العديد من الجنود السود على عالـم يخلـو من التفرقة ، ويعيش رغم مأساته في ألفة، وبعيداً عن العنصرية التي تعشعش داخــل المــؤسسة العسكرية الأمريكية، كما تقول مجلة "نيوز ويك" (1).
"نظر أحد الجنود البِيض إلى زميله في اللون (والعقلية) وقال: "سأطلق النار على أول أسود ابن (..) أشاهده".
ما الذي يجمع بين فـيتنام والفلبين والصومال وبين جندي المارينز الأمريكي "الغازي" غير خـيـط رفـيـع يتمـثـل في عنصرية وبشاعة الرجل الأبيض الذي يثير هذه العنصرية الفجة، خيط واضح كل الوضوح يجعله مسار السخط أينما حل وأينما ارتحل حيث يعامل الآخرين من بني البشر بتعالٍ كريه ويتفضل عليهم حينما يلقي بفضلاته على عرضهم وأرضهم التي يستبيحها .
الصومــال فيه عرق إيمان سيظل نابضاً بحول الله. وهو حينما يرفض أن يتحول إلى "لعبة سهام" أو "ساحة قنص بشري" أو "كباريه أمريكي" فإن أول تهمة ستُوجَّه له أنه : أصولي متطرف !!
خوفي على الصومال لا تطفئه إلا ثقتي باندحار كل حضارة تقدس القوة وتحترف الرذيلة وتهلك الحرث والنسل، وهذا الاطمئنان يتأكد كلما ذكّرت البشرية بنماذج الفاتحين الذين أحالوا الحرب إلى نموذج أخلاقي رفيع وفن في تبليغ دعوة ورسالة.. هنا فقط تأتي المفارقة ساطعة كشمس الصومال المنيرة حينما تنتمي الضحية إلى حضارة - وإن كانت مطمورة - بينما لا يحارب اليانكي (فـي قـمـة صعود حضارته المادية الصماء) إلا بعضلاته وهي التي تسوقه إلى حتفه يوماً ما سنراه قريباً .

الهوامش:

1 - 3/1/1993.

مقال

التطرف الديني :
عبارة يُراد منها الإساءة إلى عقيدتنا

سليم عبد الرحمن الزغل

"التطرف الديني" المزعوم ، هذا الاصطلاح الوافد إلينا من كل الجهات يصبح اليوم الأب الروحي لغيره من الاصطلاحات التي لا زالت تدوِّي وتجلجل وتقرع الأسماع وتصمّ الآذان "كالتشدد والتعصب والانغلاق والأصولية والإرهاب.." ، في أجهزة الإعلام الرسمية وغير الرسمية، ومن الجدير بالذكر أن اصطلاحاً كهذا ينصرف على الفور إلى الإسلام والمسلمين لمجرد سـمـاعــه من غير بذل أي جهد في التحليل والتمحيص ؛ ذلك لأن الإشاعة التي برمجها أعداء هــذا الدين فـي أروقة الاستخبارات التابعة للاستعمار - الكافر في الشرق والغرب -مدعومة بالجهود اليهودية والنصرانية - جعلت من هذا الاصطلاح تعبيراً بديلاً عن النشاط الإسلامي في أية بقعة من بقاع الدنيا.

يجب أن نستبعد استعمال اصطلاح "التطرف الديني" من إعلامنا وكتاباتنا ونشراتنا ؛ لأن هذا الاصطلاح لا يدل على موجود فضلاً عن أنه لا علاقة لنا به ، وهو عندما أُطلق للمرة الأولى أُطلق على غيرنا؛ فالله - جل ذكره - يقول عنا نحن المسلمين : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَـلَـى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً))[البقرة:143] ، إننا نقف وسط الخط من غير إفراط ولا تفريط ، وعندما يطلق العالم الكافر هذا الاصطلاح علينا فإنه لا يطلقه على فرد في المجتمع وإنما يرمي به جماعات ومجتمعات وحركات عريضة، وعلماء أجلاء وقادة أفاضل، ورموزاً طاهرة قادت الأمة إلى الجهاد في الليل الحالك لترفع سيف الاستعمار الآثم والصهيونية المجرمة والشيوعية المقبورة عن رقاب الأطفال ولتصون أعراض المسلمات في كل بقاع الدنيا من عدوان الصهاينة والشيوعيين .

لقد أصبحنا في العالم الإسلامي المنكود نردد ما يقوله الغرب والشرق عنا من التطرف والغلو والتشدد، ونـسـتـخـدم مـثــل هذه المصطلحات ضد إخواننا وأبنائنا ممن ساروا مع قافلة الصحوة ، وتشبثوا بأهداب هـــذا الدين الحنيف ، وما ذلك إلا تنفيذاً لكل ما لقنته لنا الهيئات الاستعمارية حول كون تـلــك الحركات والجماعات والمنظمات متطرفة متعصبة أصولية إرهابية ، فسِرْنا وراءهم بحـمـــاس يـفـــوق حماسهم ، سرنا وراءهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، ولو دخلوا جحر ضب لدخلناه وراءهم ، كما قال رسول هذه الأمة (عليه الصلاة والسلام) ..

قوافل الشباب المسلم والذين ألقي بهم في سـجـــون الطغاة ، وقُطِّعوا إرباً ارباً وذاقوا من صنوف العذاب ما لا تتوهمه الأوهام ، ودفن المئات منهم وهم

أحياء ، وأعدم الكثير على أعواد المشانق ، وفعلت ببعضهم الفاحشة ، وقضى آلاف منهم عشرات الأعوام في الأقبية والزنازين والسراديب المظلمة ..
خرجوا بعدها إلى الحياة لكي يجدوا أن الأبناء تشردوا ، وأن الأسر قد تبعثرت بعد أن عبثت بهـا الأيدي الآثمة، وحِيل بينهم وبين لقمة العيش الكريمة .. كل تلك الكؤوس المترعة تجرَّعـوها حتى الثمالة لا لذنب اقترفوه وإنما لأنهم قالوا: ((رَبُّنَا اللَّهُ))[الحج:40] ، وتنفيذاً لرغـبــات الأسياد في الشرق والغرب حصل ما حصل.
إننا نتساءل وبكل لغات العالم : مَن هو المتطرف .. الضحية أم الجلاد؟؟!
ولماذا قامت الدنيا ولم تقعد في فرنسا لأن بعض الـتـلـمـيـذات الـعـربـيــات ارتدين اللباس الإسلامي ؟؟ وبدأ الإعلام الآثم يمارس سياسة التحريض ضد الإسلام والمسلمين ويصورهم على أنهم وحوش هذا العالم وصار الخطاب عن التطرف الإسلامي والإرهاب الديني ، أين هو التطرف؟؟ إننا لم نشاهد هذا الزخم الإعلامي ولم نرقب مثل هذه التحذيرات المرعبة ، ولا طرقت أسـمـاعـنـا بالأحاديث المفزعة عن الإرهاب والتطرف والهـمـجـيــة -وسكاكين الصرب لا زالت تخوض في بحور الدماء في البوسنة والهرسك، إدارات المدارس والوزارات والحكومات والهيئات الشعبية هناك، كلها وقفت تنادي بطرد العرب والمسلمين ، واليهود والنصارى دقوا الطبول لأن اللحن أعجبهم، الكل صار يهتف بنغْمة متناسقة تنادي بوقف التطرف الديني، مَن هو المتطرف - بالله عليكم - التلميذات العربيات أم الحاقدون عليهن من أعداء الإسلام؟!
الصليبيون عندما احـتـلـــوا مدينة القدس ذبحوا كل أهلها عن بكرة أبيهم حتى خاضت الخيل في بحور الدماء إلى بـطـونـها ، وعندما دخلها "صلاح الدين الأيوبي" وحررها من النصارى وأهل الصليب أعطى أهلها الأمان وعاملهم معاملة الرجال الكرماء . إنها وسطية الإسلام وتطرف الآخرين!!
الشعب الجزائري المسلم اخـتـار الإسلام منهاجاً للحياة بالطريقة الديمقراطية التي يتغنى بها الغرب ، ولكن العلمانيين صادروا إرادة الشعب بقوة السلاح ، وفتحوا السجون ونصبوا المشانق . وإننا نتساءل : مَن هو المتطرف؟؟!
يُحتقر الإنسان الأسود في أمـريـكـا وتصل المعاملة في بعض الأحيان إلى حد القتل لا لذنب سوى أن لونه أسود ، ذلك هو التطرف ، وتلك هي الجريمة والإرهاب والهمجية في عالم يدعي الحضارة واحترام الإنسان! أما أولئك : الذين يحاولون جاهدين السير بقانون الله في الناس فليسوا متطرفين ، وإنـمـا هم بررة فضلاء أطهار زكاهم ربهم وأنِس إليهم الناس رغم الجهود المبذولة لعكس الاصطلاحات وتجريم الأبرياء وتبرئة المجرمين!

إن هتلر - لسان حال ألمانيا النازية كان يقول وبصراحة - : "الشعوب الشرقية يجب أن لا تعيش ، وإذا قُدّر لها أن تعيش فيجب أن تُدرَّب كما تدرب الكلاب الصغار" !!
إنه التطرف.. وإنها العنصرية والحيوانية.. والهمجية والبهيمية ، إنها صفاتهم وأما نحن المسلمون فلا نقول إلا كما قال ربنا: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [الحجرات:13] ، إنه اعتدال المسلمين ووسطية الإسلام .
اليهود في فلسطين،والصرب في البلقان، والبوذيون في بورما، والهندوس في الهند وكشمير، والأرمــن فـي قــره باغ ، والشيوعيون في جمهوريات آسيا الوسطى خصوصاً في تركمانستان وطاجيكستان ، كـل هذه الملل وغيرها تمارس القتل والذبح والاغتصاب والتصفية العرقية، وكــل ما هو محرم إنسانياً وحيوانياً ، يمارسون ذلك ضد المسلمين في طول الأرض وعرضها لا لشيء سوى أنهم مسلمون - تحت مظلة الحماية التي توفرها لهم الأمم المتحدة - (الأمم المتحـدة ضد كـــل مـمــا يمتّ إلى الإسلام بصلة) - ممثلة بالدول الخمس الدائمة العضوية بمجلـس الأمــن ، والتي تـشـكـــــل عصابة تروج للانحراف والجريمة ، والتخطيط الآثم للاعتداء على المسلمـيـن وإذلالهم ، وهتك أعراضهم والزج بهم في أتون الفضيحة الكبرى ، فقط لأنهم مسلمون !!
إذن مَن هم المتطرفرن دينياً؟؟ ولـمـاذا يـسكت العالم وسدنة النظام العالمي الجديد؟ .
إن سكوت العالم يعتبر من أنواع التـطــرف الديني الخطر بل يعتبر تطرفاً سافراً وعنصرية منحطة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً قـط ، عندما يُطلب من المسلمين الانصياع - وبالعصا - لمقررات صِيغت بأقلام المستعمرين ، وذُيـلـــت بختم الأمم المتحدة يُكافَأ اليهود والنصارى والهندوس والشيوعيون على قفزهم فوق مقررات المنظمة الدولية!!
أما العلمانيون من بني جِلدتنا فإنهم لا يرون شيئاً في الإسلام يمكن أن يطلق عليه اعتدالاً ، فالإسلام والتطرف لديهم مترادفان أبداً ، ونقول لهم ولأمثالهم :
كل ما عدا الإسلام هو تطرف وشطط ومروق من الفطرة ، وأما أن يعمد بعض أفراد المسلمين إلى المغالاة في تفسير بعض أحكام الدين فــذلك ليس تطرفاً بالمعنى الصحيح وإنما هو قصور في الفهم ، فقصور الفهم لدى المسلم كالـعـالِــم إذا كان عاجزاً ، كلاهما قد يسيء إلى هذا الدين من حيث يدري أو لا يدري ، ورحم الله الشهيد عبد القادر عودة عندما كتب : "ضاع الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه" .
((وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ))[الأحزاب:4] .

من أنشطة المنتدى الإسلامي

»اللجان الخارجية«

بعون الله قامت اللجان الخارجيــــة في المنتدى الإسلامي ببرنامج "تفطير صائم" وذلك في رمضان 1413هـ كجزء من أنشطته الإسلامية المصروفة ، وبلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذا البرنامج 438005 ألف دولار أمـريكي أي ما يعادل 1.642519 مليون ريال سعودي وكان إجـمــالي عدد الوجبات 836993 وجبة طوال شهر رمضان ، وصاحَب هذا البرنامج محاضرات إسلامية ودروس يومية حـول الصيام والصلاة والزكاة وكذلك دورس في التفسير والعقيدة والسيرة فضلاً عن توجيهات تـربـويـــة عامة ومواعظ كان لها أكبر الأثر في نفوس الناس. ونرفق جدولاً تفصيلياً لهذا البرنامج ، والذي ما كان أن يتم إلا بتوفيق من الله - عز وجل - ثم بدعم من المسلمين في البلدان الإسـلامـيـــة كـافــة والذين ما فتئوا يتبرعون لأنشطة المنتدى الإسلامي الخيرية .
جعلها الله في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

الدولة : كينيا (اللاجئون الصوماليين)
المبلغ الإجمالي : 160.000$
عدد الوجبات : 300.000
تكلفة الوجبة : 0.53$
أماكن تقديم الوجبات : 15مسجد ، 5 مدارس ،5خلايا تحفيظ قرآن ، 17 مركز إغاثي.

الدولة : باكستان	(أ-المهاجرين الأفغان	ب-البنجاب وحولها)
المبلغ الإجمالي :	$17.650	51.500
عدد الوجبات :	29.460	161.640
تكلفة الوجبة :	$0.59	$0.31

أماكن تقديم الوجبات : 126 مسجد و مدرستين

الدولة : السنغال
المبلغ الإجمالي : 31.675$
عدد الوجبات : 17.500
تكلفة الوجبة : 1.81$
أماكن تقديم الوجبات : 12 مسجد ، عدد من مراكز ومدارس تحفيظ القرآن وبعض السجون والجمعيات الإسلامية

الدولة : بنغلاديش (أ-البنغلاديشيين ب-اللاجئين البورميين)
المبلغ الإجمالي : $9.660 $28.750
عدد الوجبات : 21.000 61.500
تكلفة الوجبة : $0.46
أماكن تقديم الوجبات : 4 مساجد ، عدد من المراكز والمدارس ، أكبر مخيمين للاجئين البورميين .

الدولة : غانا
المبلغ الإجمالي : $24.700
عدد الوجبات : 94.000
تكلفة الوجبة : $0.26
أماكن تقديم الوجبات : 19 مسجد ، ومركزين إسلاميين و8 مدارس ومعاهد .

الدولة : جيبوتي
المبلغ الإجمالي : $6.600
عدد الوجبات : 7.333
تكلفة الوجبة : $0.9
أماكن تقديم الوجبات : 3 مساجد

الدولة : نيجيريا
المبلغ الإجمالي : $16.00
عدد الوجبات : 20.000
تكلفة الوجبة : $0.8
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد في مختلف الولايات بلغ عددها 23 ولاية .

الدولة : أثيوبيا
المبلغ الإجمالي : $13.350
عدد الوجبات : 16.600
تكلفة الوجبة : $0.8
أماكن تقديم الوجبات : 20 مسجد ، 10 مدارس تحفيظ القرآن الكريم .

الدولة : أفغانستان
المبلغ الإجمالي : $12.320

عدد الوجبات : 18.480
تكلفة الوجبة : 0.66$
أماكن تقديم الوجبات : -

الدولة : أندونيسيا
المبلغ الإجمالي : 10.660$
عدد الوجبات : 21.320
تكلفة الوجبة : 0.5$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد في 24 مدينة.

الدولة : الفلبيين
المبلغ الإجمالي : 10.600$
عدد الوجبات : 13.250
تكلفة الوجبة : 0.8$
أماكن تقديم الوجبات : 4مساجد ، 16 مركزاً إسلامياً ، و6 مدارس .

الدولة : السودان
المبلغ الإجمالي : 10.600$
عدد الوجبات : 12.800
تكلفة الوجبة : 0.82$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد في 24 مدينة

الدولة : أرتيريا
المبلغ الإجمالي : 8.000$
عدد الوجبات : 4.500
تكلفة الوجبة : 1.77$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد ، و6مراكز في المعاهد وغيرها .

الدولة : الصومال
المبلغ الإجمالي : 6.640$
عدد الوجبات : 12.450
تكلفة الوجبة : 0.53$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد ، 8 مراكز في مدن مختلفة داخل الصومال .

الدولة : مالي
المبلغ الإجمالي : 6.000$
عدد الوجبات : 5.660
تكلفة الوجبة : 1.06$
أماكن تقديم الوجبات : في 5 مساجد .

الدولة : أوغندا
المبلغ الإجمالي : 6.000$
عدد الوجبات : 7.500
تكلفة الوجبة : 0.8$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد .

الدولة : تشاد
المبلغ الإجمالي : 3.700$
عدد الوجبات : 6.000
تكلفة الوجبة : 0.61$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد .

الدولة : كشمير
المبلغ الإجمالي : 3.600$
عدد الوجبات : 6.000
تكلفة الوجبة : 0.6$
أماكن تقديم الوجبات : مجموعة من المساجد .

الصفحة الأخيرة

يا رعى الله زمان الشجب

محمد بن حامد الأحمري

في زمن مضى غير بعيد كانت الإذاعات تشجب العدوان الصهيوني ، وتهدد وتتوعد لإزالة هذه الشرذمة المحتلة ، وكانت الـشـعــوب تسخر من لغة الشجب والشكوى ، ثم تتابعت النقائض ، وتدهورت المواقف ، وتراجع الـشـاجـبــون وحـرمـوا الشجب والاستنكار ، بل وحرموا تلك الكلمات التي كانوا يقولونها هم ؛ حتى لم يعد يتجرأ أحد على التفوه في أية لحظة بتلك

الكلمات التي كان يقولها القائلون فخـراً ونشوة. وترحمنا على الزمن الذي كنا نسميه "زمن الشجب والهزيمة". حينما كـان يُسـمـح لنا فيه أن نقول : إنهم أخذوا أرضنا واستباحوا أعراضنا ودماءنا ، والقرار اليوم يقضي أن نعترف بأن لا نهاية لمطالب عدونا ، وأن المنهزم لا يرده شيء وسيقبل بكل ما يُملى عليه.

هل يمكن أن لا يكون لنا عدو؟! وهل تحيا الشعوب بدون أعداء؟

حتى بمنطق الذين لا يعترفون بنصوص القرآن والسنة الصريحة فـي عداوة الكافرين وشدة عداء اليهود لنا فإن سنة الله في البشر وجو التدافع والصراع - وهـي حقـيقـة ثابتة ثبوت الـلـيـل والنهار - تكشف أن هذه الدعاية ومعنى هذا التوجه - الذي يقول: إن الـيـهـود والنصــارى يحبوننا ، ويعطفون علينا أكثر من إخواننا ليس معناه أن نوقف المواجهة على جبهتهم، ولا أن يتجه السلاح إلى الداخل، إلى القمع والاضطرابات ، واختلاق المشكلات والقلاقل - وليس معناه أن تتحول حــروب الموساد والـ "سي.آي.إيه" إلى قلاعنا ، ولا أن يجند عدونا منا عدواً للآخر ، ويـتـضـح ذلـك جـيداً لمن تابع قضية المشكلة الأخلاقية في مصر مع "لوسي" وما تلاه أحد نواب البرلمان من أن الـموساد وقوى أخرى كانت وراء فتح جبهات داخلية وإثارة الشعب للانتقام ، وهذه نعمة يرفل في ظلالها الإسرائيليون ومن هم خلفهم ؛ إذ ليس أحب إليهم من استمرار الرعب والقلاقل في بلادنا.

حقاً ، إنها مسكينة هذه الشعوب التي يحدد أعداءها وأصـدقـاءها أناسٌ بالاتفاق مع امرأة ذات علاقات مشبوهة. وكم من "لوسي" في بلدان أخرى! وكم مـن كــوهـيــن وكوبلاند من الذين يصنعون القلق والانهيار والخوف واضطراب الأمن !!! .

أما آن للغافلين أن يعرفوا عدوهم من صديقهم؟ أما آن لهم أن يتركوا فرصة لـلـشـعـوب كي تـئـن من الألم؟ أما آن لهؤلاء أن يأذنوا لشعوبهم أن تعي وأن تقرأ وأن تفهم حتى تـكـــون مواقف الجميع سليمة؟ وأن تشارك الأمة في تحديد عدوها من صديقها ولا تتراجع كل يوم الى الخلف حتى تصبح في حال لا تملك فيه مخالفة أي قرار صهيوني في داخل بلدانها!!

أبعد الله ذلك اليوم.

تمت بعون الله ، والحمد لله